فقه مفردات القرآن

"من يحب اللّه ومن لا يحب أنموذجًا"

إعداد

أ. د/عادل محمد إبراهيم حسن

أستاذ أصول اللغة

والوكيل السابق في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بكفر الشيخ - جامعة الأزهر

فقه مفردات القرآن (من يحب الله ومن لا يحب أنموذجًا)

عادل إبراهيم حسن
قسم أصول اللغة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بكفر الشيخ – جامعة الأزهر
Adelhassan.68@azhar.edu.eg

ملخص:

مفردات القرآن الكريم في حاجة إلى فقه من نوع خاص لا يمكن أن يدركه القارئ بمجرد قراءته الآيات لأول وهلة، فالنظرة الأولى قد تصيب وتخطئ ولكن مع السماح للسان أن يقرأ عدة مرات وللعين أن تقلب النظر وللعقل أن يفكر بدءا بأول السورة حتى الوصول إلى نهايتها، وكذلك ربط أحداث القصة ببعضها، وارتباط أول الكلام بآخره، ومعرفة المقاصد والمناسبات ، ودراسة السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي يمكن في النهاية أن يصل إلى بعض أسرار هذه المفردات، والنص القرآني قد وضع سمات من يحب الله في دائرة خاصة ومن لا يحب في دائرة أخرى، فتضمنت كلاهما مجموعة من العناوين والأبواب المعجمية، بدأت الدراسة في تلك المفردات ببيان دلالتها اللغوية، ثم تحولت إلى بيان أثر كل مفردة في توجيه السياق القرآني من خلال حصر كامل لجميع المواضع الواردة في هذا الشأن، وذلك مع بحث بعنوان: (فقه مفردات القرآن " من يحب الله ومن لا يحب أنموذجا")).

الكلمات المفتاحية: القرآن – المقاصد – المناسبات – السياق – القرآني – اللغوي.

Jurisprudence of Vocabulary of The Quran (Model of Who Loves and Who Does not Love Allah)

Adel Ibrahim Hassan
Department of Language Principles
Faculty of Islamic and Arabic Studies
for Girls in Kafr El Sheikh
Al Azhar university
Email: Adelhassan.68@azhar.edu.eg

Abstract:

The vocabulary of the Qur'an is in need of a special jurisprudence that the reader cannot realize once he recites the verses for the first time. The first recital may be right or wrong, but by allowing the tongue to recite several times, the eye to have several looks on the verses and the mind to think from the beginning of the Sura to its end, and by linking the events of the story to each other, connecting the first of speech to the end of it, recognizing the purposes and events and studying the context of its linguistic and non-linguistic types, this can finally reach some secrets of this vocabulary.The Quran text has put the qualities of those who love Allah within a particular circle and those who do not love within another circle, and included in them a combination of headings and chapters. The study of these vocabulary started with demonstrating their linguistic significance, and then turned into demonstrating the impact of each word in guiding the Quran context through a complete count of all the subjects mentioned in this regard, with a research entitled: (Jurisprudence of Vocabulary of Quran: Models of Who loves and Who Does not Love Allah".

Keywords: Quran – intentions - occasions - Quran context - linguistic.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل فقه كلامه من خاصة بعض عباده ، فأودع فيهم عجائب قدرته وحكمته، والصلاة والسلام على من إذا تكلَّم أصغى إلى كلامه الإنس والجان ، صاحب الفصاحة والبيان محمد بن عبد الله سيد ولد عدنان – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فالقرآن الكريم منذ نزوله على قلب النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تتجه إليه نفوس اصطفاها الله من عباده واختصها بمزيد فضله ونعمه ، تتفكَّر في آياته بصدق ويقين، وتحاول فهم مفرداته حتى وإن حاد بعضها يومًا ما، عادت إلى رحابه مرة أخرى ؛ لأنه لا يمكن أن تكون على الصراط المستقيم والهدي القويم دون أن تكون على نهجه واتباع هديه ، فالعقل في حالة تساؤل دائم عن هذا الإعجاز الذي يأخذ بالعقول والقلوب ، ويظل على هذه الحالة إلى أن تفتح له الأبواب فيضع يده على بعض الأسرار ، وتحقيق ذلك ليس من خلال ساعات الانتظار ، أو إعطاء الفرصة للغير أن يبدع ويبتكر ثم بعد ذلك نشيد ونهتف بوصول القرآن الكريم إلى حقيقة ذلك قبل ألف وأربعمائة سنة ويزيد ، وإنما من خلال جعل فقه وفهم مفرداته رسالة نتبناها من ميلاد العقل إلى أن يأذن الله بالرحيل ، فالمسألة في حاجة إلى بحث في بطون المصنفات وإعمال العقل فيما نقرأ وفق الضوابط والمعايير التي وضعها أهل التفسير حتى نهتدي إلى بعض الدلالات التي تأخذ بأيدينا إلى طريق الحقِّ والصواب.

فكل شيء في حياتنا في حاجة إلى فهم وتدبر حتى نستطيع استيعابه بشكل صحيح ونصل من خلاله يومًا ما إلى حكمة وجوده ، والعقل المستقيم لا يدع شاردة ولا واردة إلا بعد أن يبحث عن علة لها وسبب ، والسعادة في الدنيا والآخرة لن تكون إلا من خلال عرض النفس البشرية على القرآن الكريم ، فالنفس المطمئنة تعلم جيدًا أنها على الخير فتحاول التزود من التقوى والعمل الصالح ليوم التلاق ، والنفس الأمارة بالسوء تعلم أنها تسير في اتجاه التيار ولكن داء الكبر والاستعلاء يدفعها إلى عدم الاعتراف والعودة إلى طريق الخلاص؛ لذلك اقرأ آيات القرآن الكريم وحاول أن تقف مع كل آية وقفة تأمل وتدبر بل مع كل كلمة وابحث عن سر التعبير بها دون غيرها ، ففقه المفردات يجعل دلالة الآيات أمام عينيك واضحة المعالم والسمات.

ومع فقه مفردات القرآن الكريم استوقف الباحث هذه الفكرة التي تجمع بين دائرتين من دوائر البيان ، فصفات من يحبُّ الله –عزَّ وجلَّ– في دائرة، وصفات من لا يحبهم في دائرة أخرى ، ولكل دائرة سياقها الخاص بها الذي يشتمل على الأهداف والمقاصد التي تجعل العقل يسير على هدى وبصيرة فيستطيع أن يميز بينهما بصورة تمكنه من اعتناق صورة الدائرة الأولى والهروب من الدائرة الأخرى ، فالدائرة الأولى ومن خلال إحصائية عامة لها تمكن الباحث من رصد سبعة عناوين في ستة عشر موضعًا، ما بين موضع واحد وموضعين وثلاثة وخمسة مواضع في كل عنوان ، وأما الدائرة الأخرى فتحتوي على اثني عشر عنوانًا في اثنين وعشرين موضعًا ، ما بين موضع واحد وموضعين وثلاثة مواضع في كل عنوان ، لكل عنوان سياقه الخاص به ، فيكون المجموع إجمالا ثمانية وثلاثين موضعًا ، قام الباحث بترتيب هذه العناوين على حسب الترتيب

المعجمي الألفبائي، وإن ظهرت في السياق الواحد مفردتان يكون الترتيب على حسب المفردة الأولى ، ومع ضم هاتين الدائرتين في بحث واحد وتقديم دراسة خاصة بهما ، والتوطئة لذلك بتمهيد ظهر هذا الموضوع في صورة مبحثين يحمل عنوان: **(فقه مفردات القرآن " من يحبُّ الله ومن لا يحبُّ أنموذجًا "**. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

التمهيد: دلالة المحبة عامة ومحبة الله خاصة.

المبحث الأول : من يحبُّ الله في دائرة التصنيف المعجمي الألفبائي **ويحتوي على سبعة عناوين :**

العنوان الأول : باب التاء مع الواو والباء في (التوابين) وباب الطاء مع الهاء والراء في (المتطهرين)

العنوان الثاني: باب الحاء مع السين والنون في (المحسنين)

العنوان الثالث: باب الصاد مع الباء والراء في (الصابرين)

العنوان الرابع: باب القاف مع التاء واللام في (يقاتلون)

العنوان الخامس: باب القاف مع السين والطاء في (المقسطين)

العنوان السادس: باب الواو مع القاف والياء في (المتقين)

العنوان السابع: باب الواو مع الكاف واللام في (المتوكلين)

المبحث الثاني : من لا يحب الله في دائرة التصنيف المعجمي الألفبائي **ويحتوي على اثني عشر عنوانًا :**

العنوان الأول: باب الجيم مع الهاء والراء في (الجهر) وباب السين مع الواو والهمزة في (السوء)

العنوان الثاني: باب الخاء مع التاء واللام في (مختالا) وباب الفاء مع الخاء والراء في (فخورا)

العنوان الثالث: باب الخاء مع الواو والنون في (خوان) وباب الهمزة مع الثاء والميم في (أثيم)

العنوان الرابع : باب الخاء مع الواو والنون في(خوان)وباب الكاف مع الفاء والراء في (كفور)

العنوان الخامس: باب السين مع الراء والفاء في (المسرفين)

العنوان السادس: باب الظاء مع اللام والميم في (الظالمين)

العنوان السابع : باب العين مع الدال والواو في (المعتدين)

العنوان الثامن : باب الفاء مع الراء والحاء في (الفرحين)

العنوان التاسع : باب الفاء مع السين والدال في (الفساد) و(المفسدين)

العنوان العاشر: باب الكاف مع الباء والراء في(المستكبرين)

العنوان الحادي عشر: باب الكاف مع الفاء والراء في (الكافرين)

العنوان الثاني عشر: باب الكاف مع الفاء والراء في (كفار) وباب الهمزة مع الثاء والميم في (أثيم)

الخاتمة: وفيها قدَّم الباحث أهم النتائج التي توصل إليها.

وبعد هذا الإجمال الذي ذكرته في مقدمة هذا البحث أجد القلم يسرع الخطى في طرح تلك العناوين التي تنادي بالتفصيل وتقوم بالدرس والتحليل من خلال عرض آراء وأفكار العلماء قديمًا وحديثًا واجتهاد الباحث في الاستنباط وذكر ما يراه قريبًا إلى فقه المفردات سواء من خلال ضمها بجوار بعض أو من خلال أسباب نزول الآيات ، حتى يمكن أن نقف على بعض الحقائق وأن نسجل ملامح الإعجاز في هذا الباب في صورة ترضى ربنا وفق معطيات تلك الأحكام التي أصَّلت لها مبادئ الإسلام.

﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة من الآية ٤).

التمهيد : دلالة المحبة عامة ومحبة الله خاصة

جاء في لسان العرب" الحُبُّ: نقيض البغض. والحُبُّ: الوداد والمحبة ، وكذلك الحِبُّ بالكسر... وأحبه فهو محِبٌّ ، وهو محبوب على غير قياس؛ هذا الأكثر ، وقد قيل مُحَبٌّ على القياس... والمحبة أيضًا: اسم للحُبِّ[1]".

وأما " محبة الله للعباد: فإرادة الخير بهم وغفران ذنوبهم؛ ولذلك قال الأزهري: إنعامه عليهم بالغفران، ومحبة العباد لربهم ولرسوله: طاعتهم لهما وامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما. وعليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران من الآية ٣١]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران من الآية ٣٢] أي: لا يغفر لهم. وقال ابن عرفة: المحبة عند العرب إرادة الشيء على قصد له. قلت: وفرق بعضهم بين الإرادة والمحبة فقال: والمحبة إرادة ما يراه ويظنه خيرًا. وهي على ثلاثة أوجه: محبة للذة كمحبة الرجل للمرأة، ومنه:﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان من الآية ٨]، ومحبة للنفع كمحبة ما ينتفع به ومنه: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ﴾ [الصف من الآية ١٣]. ومحبة للفضل كمحبة العلماء بعضهم لبعض لأجل العلم. وربما فسرت المحبة بالإرادة في قوله: ﴿ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ﴾ [التوبة من الآية ١٠٨]، وقال: ليس كذلك؛ فإن المحبة أبلغ من الإرادة كما تقدم. فكل محبة إرادة وليس كل إرادة محبة.

---

(١) لسان العرب لابن منظور. حققه. عبد الله علي الكبير وآخرون – مادة (ح ب ب) ٧٤٢/٢ – طبعة دار المعارف. وينظر: تهذيب اللغة للأزهري حققه. محمد عوض مرعب٨/٤ – دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة الأولى ٢٠٠١م، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري . تحقيق. أحمد عبد الغفور عطار ١٠٥/١ –دار العلم للملايين –بيروت–لبنان–الطبعة الثالثة –القاهرة ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

وقولـــه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقـــرة مـــن الآية ٢٢٢] أي: يثيبهم.

وفي عكسه: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة من الآية ٢٧٦]. وفيه تنبيه على أنه بارتكاب الآثام يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك. وإن لـــم يتـــب لـــم يحبـــه الله تعـــالى المحبـــة التـــي وعـــد الله التـــوابين والمتطهرين[١]".

فمحبة الله –عزَّ وجلَّ– نعمة من نعمه التي أنعم بها علينا لا يمكن إدراكها إلا باتباع منهجه والسير على درب شرعه ، والمخالف هو الجاني على نفسه الذي قدم شهادة وفاته وخرج من دائرة رحمته ، فحياة العقول والقلوب لا تكون إلا في معيته ، ومن حرمها فقد حرم نعمة الحياة ، فالعبد الذي ليس له نصيب من محبة الله ليس له نصيب من الخير أو مغفرة الذنوب ، ومن كانت هذه حياته فلا حياة له.

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي. حققه. محمد باسل عيون السود ١/٣٦٦– دار الكتب العلمية– الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م. وينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١/٢٠٥،٢٠٦–دار القلم –دمشق.

المبحث الأول: مفردات من يحبُّ الله في دائرة التصنيف المعجمي الألفبائي

المؤمن صورة متكاملة الأركان ، لا يعمل لحساب جانب على أكتاف جانب آخر ، فهو جميل الجوهر والمظهر، عفيف القلب واللسان حتى يبدو وكأنه بصورته الآدمية يشبه الصورة الملائكية في عدم عصيان ربه وامتثاله لجميع أوامره ، يدخل دائرة محبة الله بقوله: سمعت وأطعت، وكذلك يكون حال المؤمنين جميعًا بقولهم: سمعنا وأطعنا ، وتدور الأحداث في هذا المبحث حول سبع مفردات وردت في ستة عشر موضعًا نصَّت وصرَّحت الآيات القرآنية الكريمة بصورة مباشرة على حبِّ الله –عزَّ وجلَّ– للمتصفين بتلك الصفات ، ربما انفردت بعض السور ببعض هذه المواضع ، وربما ذكر أكثر من موضع في سورة واحدة ولكل موضع سياقه الخاص به ، مع وجود التشابه السياقي في بعض الأحيان، ولكن الله –عزَّ وجلَّ– يصفهم في بعض المواضع بصفة ما وفي الموضع الآخر يصفهم بصفة أخرى ولكل مجال خصوصيته التي تميزه عن غيره ، وربما في سياق واحد ورد وصفان مختلفان لأمر واحد ، والعرض بهذه الصورة يمهِّد للنظر والتأمل واستخدام أكثر من آلية للاستباق إلى هذه المرحلة ، فمن يحبُّه الله لا يمكن أن يُذل في دنيا الناس ولا يمكن أن يخرج من معيته ، والعناوين الآتية خير شاهد ودليل على أن الدخول في هذا المجال ليس بالتمنِّي ولا الشرود في دنيا الأحلام ولا التحليق في عالم الخيال، بل هو عالم حقيقي يحتاج إلى جهاد وضبط النفس والخروج بها من دائرة الشهوات والشبهات إلى عالم الثبات واليقين ، وتخليص الفكر من أدران الفساد والصعود به إلى عالم الإخلاص والإتقان.

العنوان الأول: باب التاء مع الواو والباء في (التوابين) ، وباب الطاء مع الهاء والراء في (المتطهرين)

١–قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة الآية ٢٢٢) .

٢–قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة الآية ١٠٨).

يظل الإنسان في حالة من البحث والتنقيب لسنوات طوال حتى يثبت حقيقة افعل في جانب الأوامر ولا تفعل في جانب المنهيات ، ولو أنه سمع وأطاع واستسلم لأوامر خالقه لكان من السابحين في جنات النعيم ، وليس معنى ذلك توقف عملية البحث والإدراك ولكن ينبغي عليه التسليم أولا ثم البحث بعد ذلك عن الأسباب ، والبحث في هذا الموضع خاص بـ(**التوابين)** ، و(**المُتَطَهِّرين والمُطَّهِّرين)** ، فالأولى من الجذر **(ت و ب)**، والثانية والثالثة من الجذر **(ط هـ ر)**، والعنوان هنا يمثل الصفاء والنقاء بشتى أنواعه والخلاص من أدران الذنوب والمعاصي والرجوع إلى معية الله ، فـ " التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع . يقال تاب من ذنبه، أي: رجع عنه، يتوب إلى الله توبة ومَتَابًا ، فهو تائب ... [(١)]".

(١) مقاييس اللغة لابن فارس. تحقيق. عبد السلام محمد هارون ٣٥٧/١–دار الجيل –بيروت –الطبعة الأولى ١٤١١هـ–١٩٩١م.

فـ " المعنى المحوري: توقف الشخص وانقطاعه عما كان يعمله من الذنوب ونحوها لرقَّة اعترته [١]".

وأما عن " الطاء والهاء والراء فأصل واحد صحيح يدل على نقاء وزوال دَنَس. ومن ذلك الطُّهر : خلاف الدَّنَس. والتطهُّر: التنزُّه عن الذم وكل قبيح ...[٢]" .

فـ " المعنى المحوري : نقاء الشيء مما يُتَأذَّى به ، أو انقطاع قذى الشيء[٣] " .

ففي مقام اعتزال النساء في المحيض تأتي الصفتان في الآية الأولى، والآية الأخرى في مقام عُمَّار المساجد وبيان أفضل صفاتهم ، حيث كان من عادة اليهود في المشهد الأول أن المرأة إذا كانت في فترة الحيض لم يؤاكلوها ولم يجلسوا معها حتى تطهر وتعود إلى سابق عهدها من النظافة الحسية أو الجسدية ، ولكن تعاليم الإسلام وضعت النقاط على الحروف ونصَّت على أن لها كافة الحقوق سواء أكانت في حالة الطهر أم في حالة الحيض لكن المسألة في هذا الموضع خاصة بمعاشرتها وأنه يتحتم على الزوج ألا يقترب من موضع الحرث ؛ لأن فيه أذى سواء له أو لها ، والالتزام بالضوابط والمبادئ يدخل الإنسان في دائرة محبَّة الله -عزَّ وجلَّ- ؛ لأن الله -عزَّ وجلَّ- يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين.

وعندما يحدثنا القرآن الكريم عن الأذى حال مباشرة الزوج لزوجته أثناء فترة الحيض بات الحرص واجبًا والامتناع فرض عين ، فما لا تدرك

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د.محمد حسن جبل ١٩٨/١-مكتبة الآداب-القاهرة ٢٠١٢م.

(٢) مقاييس اللغة ٤٢٨/٣.

(٣) المعجم الاشتقاقي ١٣٩٣/٣.

ضرره الآن قد تدركه غدًا أو لا تدركه ، فليس الإدراك هو الغاية ولكنه الامتثال ، وإن كان الطب الحديث أدرك ذلك وسجَّله في مصادره، ولكن إن أصاب المسلم ذنبًا لسهو أو غفلة أو حتى إن قصد ذلك عمدًا فليس معنى ذلك أن أبواب الرحمة والرجاء قد غلِّقت في وجهه بل يقبل الله – عزَّ وجلَّ– توبة التائبين العائدين من الذنوب والمعاصي ، والمتطهرين من الأحداث الحسية والمعنوية.

وعن التوابين والمتطهرين في هذا السياق ذكرت آراء كثيرة منها: أن الله يحب التوابين من الذنوب ، والمتطهرين بالماء من الأحداث والمحيض والجنابات والنجاسات. أو: التوابين من الذنوب، والمتطهرين من أدبار النساء. أو: التوابين من الشرك ، والمتطهرين من الذنوب. أو: التوابين من الكفر، والمتطهرين بالإيمان أو: التوابين من الذنوب لا يعودون فيها، والمتطهرين منها لم يصيبوها(١).

وإن كانت جميع هذه الوجوه محتملة يؤيدها السياق لكن الإمام الطبري يقارن بينها ويختار ما يراه مناسبًا لسياق الحال من وجهة نظره فيقول: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: إنَّ الله يحب التوابين من الذنوب، ويحب المتطهرين بالماء للصلاة ؛ لأن ذلك هو الأغلب من ظاهر معانيه. وذلك أن الله –تعالى ذكره– ذكر أمر

(١) التفسير البسيط للواحدي ٤/١٧٩،١٨٠– الناشر عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى١٤٣٠ هـ. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. حققه.أحمد محمد شاكر ٤/٣٩٤،٣٩٥–مؤسسة الرسالة– الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، وتفسير مقاتل بن سليمان. حققه.أحمد فريد١/١١٨– دار الكتب العلمية – لبنان– بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. حققه. أسعد محمد الطيب٢/٤٠٣،٤٠٤– مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية –الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ ، وبحر العلوم (تفسير السمرقندي) . تحقيق. محمود مطرجي ١/ ١٧٣–دار الفكر – بيروت، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي. تحقيق. الإمام أبي محمد بن عاشور ٢/١٦٠– دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان– الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

المحيض، فنهاهم عن أمور كانوا يفعلونها في جاهليتهم: من تركهم مساكنة الحائض ومؤاكلتها ومشاربتها، وأشياء غير ذلك مما كان -تعالى ذكره- يكرهها من عباده. فلما استفتى أصحاب رسولِ الله رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، أوحى الله -تعالى- إليه في ذلك، فبيَّن لهم ما يكرهه مما يرضاه ويحبه، وأخبرهم أنه يحب من خلقه من أناب إلى رضاه ومحبته، تائبًا مما يكرهه. وكان مما بيَّن لهم من ذلك، أنه قد حرَّم عليهم إتيان نسائهم وإن طهُرن من حيضهن حتى يغتسلن، ثم قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ ، فإن الله يحب المتطهرين، يعني بذلك: المتطهرين من الجنابة والأحداث للصلاة، والمتطهرات بالماء- من الحيض والنفاس والجنابة والأحداث - من النساء. وإنما قال: ﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾- ولم يقل" المتطهرات" - وإنما جرى قبل ذلك ذكر التطهر للنساء؛ لأن ذلك بذكر ﴿ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ يجمع الرجال والنساء. ولو ذكر ذلك بذكر" المتطهرات"، لم يكن للرجال في ذلك حظ، وكان للنساء خاصة. فذكر الله -تعالى ذكره- بالذكر العام جميع عباده المكلفين، إذ كان قد تعبَّد جميعهم بالتطهر بالماء، وإن اختلفت الأسباب التي توجب التطهر عليهم بالماء في بعض المعاني، واتفقت في بعض[1]".

وهناك رأي آخر له وجهه ودلالته ، حيث " يقال: ويحب التوابين من الذنوب والمتطهرين الذين لم يذنبوا. فإن قيل: كيف قدَّم بالذكر الذي تاب من الذنوب على الذي لم يذنب؟ قيل له: إنما قدمهم لكيلا يقنط التائب من الرحمة، ولا يعجب المتطهر بنفسه كما ذكر في آية أخرى:

(١) جامع البيان ٤/٣٩٦:٣٩٧.

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾(فاطر من الآية ٣٢) [١]".

وأما عن المشهد الآخر الخاص بعُمَّار المساجد فقيل" قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ ﴾ ، قال ابن عباس: يريد الأنصار ،﴿ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾، قال الحسن: أي: من الذنوب ، وقال ابن عباس والكلبي وغيرهما: يعني غسل الأدبار بالماء ، ويروى أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أتاهم وهم في مسجدهم فقال: (إن الله قد أحسن الثناء عليكم في طهوركم فبم تتطهرون؟ " فقالوا: نغسل أثر الغائط بالماء، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – دوموا عليه[٢]).

قال المفسرون: كان من عادة هؤلاء في الاستنجاء استعمال الأحجار ثم الماء بعدها وهو الأكمل والأفضل في باب الاستنجاء ، وقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ أي: من الشرك والنفاق والأنجاس[٣]".

وخلاصة القول أن التوبة تستلزم الإقلاع عن الذنوب فتهتم بجانب الروح وتصفيتها حتى تصل إلى درجة اليقين ، والتطهر قد يهتم بجانب الروح أيضًا فيعملان معًا في صعيد واحد ، وقد يهتم بجانب الجسد فيعمل على تنقيته وصفائه حتى يحدث التفاعل بين الظاهر والباطن فترى صورة المؤمن الحقيقية .

(١) بحر العلوم ١٧٣/١.

(٢) الحديث في كتاب الطهارة (الاستنجاء بالماء إذا خرج من الغائط) عن أبي أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك الأنصاريين–رضي الله عنهم– برواية أخرى. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري. تحقيق.عبد الرزاق المهدي١٥٢/١–دار الكتاب العربي –بيروت –لبنان ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

(٣) التفسير البسيط ٥١/١١.

العنوان الثاني: باب الحاء مع السين والنون في (المحسنين)

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(البقرة الآية ١٩٥).

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران الآية ١٣٤).

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(آل عمران الآية ١٤٨).

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة الآية ١٣).

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة الآية ٩٣).

للخير مراحل شتى تصل من خلالها إليه ، وصور عدَّة تستطيع أن تتصف بجميعها مادام القلب معلقًا بخالقه ، ولكن من أرقى أبوابه مرحلة الإحسان ، تتعدد مداخلها وتكثر طرقها ، لم تسكن عقلا إلا أضاءت دروبه ، ولم تدخل قلبًا إلا أزالت همومه وأحزانه ، أينما تتجه إليها تجد التوفيق والسداد والنصر والتأييد ، فالبحر يحمل كثيرًا من أبواب الرزق ولكنها لا تطفو على السطح حتى تتعلَّم التفتيش والتنقيب والسعي في

تحصيل أمر المعاش، ليس هذا فحسب بل وجعل الغير له فيه نصيبًا بنفس راضية وقلب مطمئن ، فالإحسان تجريد النفس من عالم الشهوات والزلات والإقبال على الله –عزَّ وجلَّ– بكل آيات الثقة والاطمئنان.

فالإحسان باب واسع في القرآن الكريم ولكن دائرة البحث هنا تدور حول تلك المواضع الخمسة التي يأتي السياق فيها من أجل تقرير عدة حقائق عنوانها محبة الله –عزَّ وجل– للمتصفين به.

"والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان. والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا، أو عمل عملا حسنًا... فالإحسان فوق العدل، وذاك أن العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له ... فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾(النساء من الآية ١٢٥) [(١)]".

" ولذلك عظم ثواب المحسنين فقال:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [(٢)]".

وعن دلالة الإحسان قال ابن عاشور: " الإحسان فعل النافع الملائم، فإذا فعل فعلا نافعًا مؤلمًا لا يكون محسنًا فلا تقول إذا ضربت رجلا تأديبًا: أحسنت إليه ولا إذا جاريته في ملذات مضرة أحسنت إليه، وكذا إذا فعل فعلا مضرًا ملائمًا لا يسمى محسنًا... [(٣)]".

وأبواب الإحسان كثيرة ولكن بشرط الصدق في الأقوال والرضا عن الأفعال ، وقد ذكر الله –عزَّ وجلَّ– في كتابه أنه يحبُّ المحسنين من

(١) المفردات في غريب القرآن ٢٣٦/١.

(٢) عمدة الحفاظ ٤١٢/١.

(٣) التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور ٢١١/٢– مؤسسة التاريخ العربي– بيروت – لبنان– الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

عباده في خمسة مواضع ، الموضع الأول منها يحمل باب الإنفاق في سبيل الله ، والثاني صفة من صفات المتقين ، والثالث صفة المجاهدين مع الأنبياء الذين لم تؤثر فيهم الحوادث والصدمات ولم تهن من عزم قلوبهم الأزمات بل الثبات على مبدأ الحق يلازمهم ويأخذ بأيديهم إلى طريق الفلاح والرشاد، والرابع خاص بالإحسان إلى بني إسرائيل الذين صدقوا في عهودهم وخلصت نياتهم واستقاموا على طريقة الله –عزَّ وجلَّ– إن وقعت منهم بعض الأخطاء على سبيل السهو والغفلة والنسيان، والخامس خاص بتلك المسكرات التي تختمر من خلالها العقول وتغيبها عن الوعي والإدراك فلا يدري شاربها ما يفعل ، قليلها وكثيرها سواء في التحريم ، والعرب قبل الإسلام كثير منهم ما كان يلجأ إليها ويرتمي في أحضانها ؛ وذلك لعدم وجود منهج في التحريم أو دين يدعو إلى الترك والاجتناب ، فخاف المسلمون على إخوانهم الذين كانوا يشربون الخمر قبل تحريمها وأدركتهم المنية وهم على ذلك فأخبرهم الله تعالى بأنه لا جناح ولا إثم عليهم في ذلك ما دامت التقوى قد خالجت قلوبهم وسيطر الإيمان والعمل الصالح على حياتهم حتى وصل بهم إلى درجة الإحسان " فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد[1]".

والآية الأولى على وجه الخصوص تحتاج إلى وقفة حتى يعلم سر الإحسان فيها ، حيث " في الأمر بالإحسان بعد ذكر الأمر بالاعتداء على المعتدي والإنفاق في سبيل الله والنهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة إشارة إلى أن كل هاته الأحوال يلابسها الإحسان ويحف بها، ففي الاعتداء يكون الإحسان بالوقوف عند الحدود والاقتصاد في الاعتداء

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي. حققه. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ٢٤٣– مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .

والاقتناع بما يحصل به الصلاح المطلوب، وفي الجهاد في سبيل الله يكون الإحسان بالرفق بالأسير والمغلوب وبحفظ أموال المغلوبين وديارهم من التخريب والتحريق، والعرب تقول: ملكت فأسجح[١] ، والحذر من الإلقاء باليد إلى التهلكة إحسان. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تذييل للترغيب في الإحسان ؛ لأن محبة الله عبده غاية ما يطلبه الناس؛ إذ محبة الله العبد سبب الصلاح والخير دنيا وآخره، واللام للاستغراق العرفي والمراد المحسنون من المؤمنين[٢]".

وعندما يحب الله المحسنين فهم المحسنون عامة الذين يتصفون بالإحسان في شتى المجالات وفي جميع أمورهم الحياتية " وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان؛ لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم. ويدخل فيه الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملا والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضًا، الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكر النبي- صلى الله عليه وسلم-: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك[٣]".

---

(١)"ملكت فأسجح" أي: فأرفق وأحسن، والسجح: السهولة. هامش في الجمع بين الصحيحين. عبد الحق الإشبيلي٣/١٠٣ -دار المحقق للنشر والتوزيع- الرياض-المملكة العربية السعودية -الطبعة الأولى١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) التحرير والتنوير ٢/٢١١،٢١٢.

(٣) جزء من حديث أبي هريرة. الجمع بين الصحيحين. عبد الحق الإشبيلي (كتاب الإيمان)(باب في سؤال جبريل النبي عليهما السلام عن الإيمان والإسلام...) ١/١٣.

فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ (يونس من الآية ٢٦) وكان الله معه يسدده ويرشده ويعينه على كل أموره[١]".

فالإحسان غاية لا يدركها إلا من يكابد هوي نفسه ويتغلَّب على شيطانه فيعمل على إدراك كل ما هو نفيس وغال في سبيل مرضاة ربّه والدخول في معيته ، فالدنيا قد تتزَّين وتتجمَّل وتظهر أجمل ما فيها ولكن غاية المُحْسِن ليست في إدراك ذلك وتحقيقه وإنما في كيفية توظيفه واستثماره بما يحقِّق الخير له وللجميع.

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٠.

العنوان الثالث: باب الصاد مع الباء والراء في (الصابرين)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران الآية ١٤٦).

ذكر أهل اللغة أن" الصبر: حبس النفس عن الجزع. وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرًا[١]".

فـ " الصبر حمل النفس على المكروه وتوطينها على احتمال المكاره[٢]".

وبتعبير آخر" فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه، خصوصًا الطاعات الشاقَّة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار، إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن ردَّه المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئًا، وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصًا إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله ، والتوكل عليه ، والملجأ إليه ، والافتقار على الدوام.

(١) تاج اللغة وصحاح العربية ٧٠٦/٢.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. أبو بكر الجزائري ١٣٣/١- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية- الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه ﴿ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة من الآية ١٥٣) أي: مع من كان الصبر لهم خلقًا، وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلا وشرفًا، وأما المعية العامة، فهي معية العلم والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ (الحديد من الآية ٤) وهذه عامَّة للخلق[١]".

فمحبة الله تعالى لعباده المؤمنين تأتي هنا في مقام الصبر والاحتساب ، فالإيمان ليس كلمة تقال على الملأ وينطق بها اللسان أمام الحاضرين دون تأييد من القلب واستجابة من جميع الأعضاء بل هي صدق وصلاح وإخلاص وبذل للجهد في سبيل نصرة الحق حتى ولو على سبيل فناء الروح وصعودها إلى بارئها، فالموت لا سبب له ، فربما يعيش المريض أمدًا بعيدًا ويفارق الصحيح الحياة في مقتبل عمره ، فموت الأنبياء ليس معناه انقضاء حياة الصلاح والإصلاح في الأرض بل معناه السير على دربهم واقتفاء آثارهم في خلافة هذه الأرض وعمارتها على الوجه الذي أراده الله لها ، وفي الآية توجيه من الله تعالى للمؤمنين من عباده وعتاب لهم بأن يجعلوا الصالحين من عباده الذين اتبعوا أمر أنبيائهم أسوة لهم – وهم كثير– في كل شيء خاصة في أمر القتال والصبر على البلاء، فما حلَّ الضعف بهم ولا انكسرت عزيمتهم ، فهؤلاء

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٤.

" ما ضعفت قلوبهم ، ولا وهنت أبدانهم ، ولا استكانوا ، أي: ذلوا لعدوهم ، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال:﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١]".

" وكم من نبي من الأنبياء السابقين قاتل معه جموع كثيرة من العلماء والأتقياء والصالحين فما وهنوا، أي: ما ضعفوا، ولا ذلُّوا لعدوهم ولا خضعوا له كما هَمَّ بعضكم أن يفعل أيها المؤمنون، فصبروا على القنال مع أنبيائهم متحمِّلين آلام القتل والجرح فأحبهم ربهم تعالى لذلك؛ لأنه يحب الصابرين[٢]".

فالألم قد يشتد بصاحبه ويؤذن بهلاكه ولكن مرارته تتحول إلى رحيق يتنسم عبيره عندما يضبط حاله ويتعايش بهدوء مع واقع قدَّره له ربه ووضعه في دائرته حتى يعلم ضيق أو صبر عبده ، فالدنيا لا تسير على وتيرة واحدة أو نهج واحد بل هي بين سعادة وشقاء ويسر وعسر ، فتحقيق الآمال فيها والفوز والنصر على شهواتها يحتاجان إلى جهد وصبر وقوة وعزيمة لا تلين،﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح آية ٥،٦).

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٥١.

(٢) أيسر التفاسير ٣٨٨/١.

العنوان الرابع: باب القاف مع التاء واللام في (يقاتلون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾(الصف الآية ٤).

محبة الله تعالى لعباده المؤمنين في هذا الباب تأتي عن طريق اجتماع كلمتهم وتوحيد صفوفهم كأنهم جسد واحد ، الكلمة واحدة لا مجال للاختلاف والتنازع والفرقة ، والعمل واحد بنية واحدة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ، ربما تصدر بعض العبارات التي تدل على صدق النية وصفاء السريرة ولكنها في حاجة إلى من يقوم بتطبيقها وتوظيفها على أرض الواقع ، فالأمر بالقتال أمر من الأمور التي يصعب على النفس فعلها أو اختراق مجالها ولكن الظروف تستدعي ذلك فيجب الوفاء حينئذ بما نذرت به مادام الإيمان قد خالط بشاشة قلبك واطمأن فيه ؛ لأن القتال هو أحبُّ الأعمال عند الله تعالى بعد الإيمان ، وعن دلالة هذا الباب يقول ابن فارس:" القاف والتاء واللام أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة. يقال: قتله قتلا[1]".

والدلالة في الآية الكريمة تتجه إلى أن الله تعالى" يحبُّ من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كبيوت البناء المرصوص. ويجوز – والله أعلم – أن يكون عني أن تستوي نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضًا كالبنيان المرصوص[2]".

وهو" يعني يصفون بمنزلة الصف في الصلاة ملتزق بعضهم ببعض لا يتأخر أحدهم عن صاحبه بمنزلة البنيان الذي بني بالرصاص... [3]".

---

(١) مقاييس اللغة ٥/٥٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج. حققه.عبد الجليل عبده شلبي٥/١٦٤– عالم الكتب – بيروت– الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٣) بحر العلوم ٣/٤٢٠.

و"هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفًّا متراصًّا متساويًا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضًا، ولهذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا حضر القتال، صفَّ أصحابه، ورتَّبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال[١]".

فأنت أيها المؤمن الآن في حالة اختبار حتى تثبت صدق النية وكمال الإيمان ، وذلك بأن تكون واحدًا من هؤلاء الذين يقاتلون في سبيل الله صفًّا كأنهم جسد واحد ، لا تختلف صورهم وأشكالهم وبالتالي لا تختلف نياتهم ، فصدق العبارة دليله العمل بها ، والعمل قد يكون صعبًا يؤذن بنهاية الحياة ولكن لا سبيل إلى رضا الله إلا به حتى يعيش المجتمع في أمن وأمان.

(١) تيسير الكريم الرحمن ٨٥٨.

العنوان الخامس: باب القاف مع السين والطاء في (المقسطين)

١-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(المائدة الآية ٤٢).

٢-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات الآية ٩).

٣-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة الآية ٨).

يتجه هذا العنوان إلى مفردة من مفردات القرآن تأخذ ملمح التضاد ، فتأتي للدلالة على الشيء وضده والسياق هو الحكم في التوجيه ، حيث تقوم مفردة (القسط) بأداء دور الدلالة في العدل ونقيضه الجور، قال ابن فارس :" القاف والسين والطاء أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد. فالقِسط العدل. ويقال من أقْسَط يُقْسِط. قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾. والقَسْط بفتح القاف: الجور... يقال : قَسَطَ: إذا جار، يَقْسِط قَسْطًا[1]".

وبعيدًا عن دلالة الجور ودخولا في دائرة العدل تأتي الدلالة في هذا المقام من خلال سياقات ثلاثة ، وذلك من أجل تأكيد وتقرير حقيقة مهمة وهي أن الله يحبُّ المقسطين من عباده الذين يبحثون عن العدل ويتحرون عنه بكل الطرق حتى يصلوا إليه ، فلم يكن البحث عنه بغرض التدليس

(١) مقاييس اللغة ٥/٨٥،٨٦.

أو إيهام الناس بغير الحقيقة أو رياء ونفاقًا بل عن صدق واقتناع ، فالسياق الأول فيه توجيه من الله –عزَّ وجلَّ– لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– ألا يحزن ويشتد حزنه على هؤلاء الذين لم تُجْد معهم النصيحة لما يشاهده من سوء صنيعهم ويسمعه من فساد أقوالهم من هؤلاء المنافقين واليهود ، فدأبهم أنهم يستمعون للكذب كثيرًا وكذلك يأكلون الحرام، وكذلك يحرِّفون الكلم عن مواضعه ليتفق مع منهجهم وعنوان حياتهم ، فإن جاءك هؤلاء الصنف من البشر لتحكم بينهم فاحكم بينهم بالحقِّ أو أعرض عنهم ولكن إن حكمت بينهم فاحكم بالعدل ؛ لأن الله يحبُّ من يحكم بذلك حتى ولو كان يحكم بين خصومه وأعدائه ؛ فالمبدأ لا يتجزأ والحقُّ حقٌّ حتى ولو كان مع غير المسلم" حتى ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم. وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى يحبُّه[١]".

ويأتي السياق الثاني في التأكيد على تطبيق منهج العدل بين المتخاصمين من المؤمنين في قوله تعالى: "﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ ﴾ هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله،

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٣٢.

وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: "المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا[1]".

والسياق الثالث يأتي في مقام وجوب العدل مع المشركين الذين لم يقاتلوكم ولم يصرُّوا على إخراجكم من دياركم" أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلمًا:﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ (لقمان من الآية ١٥)[2]".

فهذه بعض النماذج التي تجسِّد صورة العدل وتؤصِّل له ، فإذا ما تحقَّق العدل في هذه الصور الثلاث فمن باب أولى أن يتحقَّق في غيرها ، فالعدل عدل أينما حلَّ أو ارتحل ، وهذا المبدأ عبارة عن قاعدة عامة تجيب عن كثير من الأسئلة التي تتردد في ذهن مَن يتصور الإسلام بغير حقيقته فنهديه تلك الآيات إن أراد الجواب الشافي الذي يقطع الشك باليقين.

(١) السابق٣٠٠. جزء من حديث عن عبد الله بن عمرو في الجمع بين الصحيحين.عبد الحق الإشبيلي (كتاب الجهاد في الإمام العادل)١٣٦/٣.لم يخرج البخاري هذا الحديث.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٥٦.

العنوان السادس: باب الواو مع القاف والياء في (المتقين)

١-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران الآية ٧٥، ٧٦).

٢-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة الآية ٤).

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(التوبة الآية ٧).

التقوى أعلى درجات الإيمان والاتصاف بها من الصعوبة بمكان، فلا يقوى ولا يقدر عليها إلا من أوتي همة عالية تنوء عن حملها الجبال؛ وذلك إذا وهب المؤمن حياته لله وعاش في رحابه وجعل بينه وبين محرماته حاجزًا ، وعن الجذر الخاص بتلك المفردة يقول ابن فارس: " الواو والقاف والياء : كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره . ووقيتُه أقِيه وَقْيًا. والوِقاية : ما يقي الشيء. واتق الله : تَوَقَّه ، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية . قال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: (اتقوا النار ولو بشق تمرة(١)) ، وكأنه أراد : اجعلوها وقاية بينكم وبينها(٢)".

(١) جزء من حديث عدي بن حاتم. الجمع بين الصحيحين. عبد الحق الإشبيلي(كتاب الزكاة)(باب الحض على الصدقة، والصدقة على الأبناء والعيال والقرابة وغيرهم) ٧١/٢.

(٢) مقاييس اللغة ١٣١/٦.

فـ" المعنى المحوري: حفظ من الأذى والضرر باتخاذ حاجز دونه : كالوقاية : الحاجز ثوبًا أو حَشِيَّة أو وَرَقًا إلخ[1]".

وحفظ الإنسان نفسه من الأذى وجعله بينه وبينه وقاية يضعه في مأمن من تلك المصائب التي يمكن أن تلحق به ، حيث لم يكن حبُّ الله لعباده المتقين نتيجة خضوع واستسلام وإنما نتيجة جد واجتهاد ، فالمتقون في حالة صراع دائم مع شهوات النفس ولكنهم ينتصرون عليها بفضل ثقتهم بالله –عزَّ وجلَّ– وإيمانهم بفضيلة الحق ودمامة الباطل ، والسياقات الثلاثة الواردة في هذا المقام تدعونا إلى الاقتناع والشهادة بذلك ، فالآية الأولى تأتي في هذا السياق الذي يشير إلى أهل الكتاب الذين ينقضون عهدهم مع الله –عزَّ وجلَّ–، فيخونون الأمانات اعتقادًا منهم بأنها ما دامت خاصة بالعرب فهي حلٌّ لهم ، فيبين القرآن الكريم حالهم ويفضح فساد معتقدهم وما تضمره قلوبهم ، " فقال ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج ، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم. ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ ﴾ والعهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهده ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأميون قد عرفوا بوفاء العهود وبتقوى الله وعدم التجرؤ على الأموال المحرمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم، بخلاف الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون

(١) المعجم المؤصل الاشتقاقي ١٧٦٢/٤.

في قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ... ﴾(آل عمران من الآية ٧٧) [١]".

والسياق في الآية الثانية يشير أيضًا إلى أهل الكتاب ولكن في اتجاه دلالة حفظ الأمانات وضياعها، وذلك من خلال تجسيد بعض الأحداث التي جمعت بين الفريقين،"﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ، يعني أهل التوراة ،﴿ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ ﴾ ، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه ،﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ ﴾ ، يعني كفار اليهود ، يعني كعب بن الأشرف وأصحابه ، يقول : منهم من يؤدي الأمانة ولو كثرت ، ومنهم من لا يؤديها ولو ائتمنته على دينار لا يؤده إليك ،﴿ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا ﴾عند رأسه مواظبًا عليه تطالبه بحقك ،﴿ ذَٰلِكَ ﴾ استحلالا للأمانة ،﴿ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ﴾، يعني في العرب ﴿ سَبِيلٞ ﴾ ، وذلك أن المسلمين باعوا اليهود في الجاهلية ، فلما تقاصهم المسلمون في الإسلام ، قالوا : لا حرج علينا في حبس أموالهم ؛ لأنهم ليسوا على ديننا يزعمون أن ذلك حلال لهم في التوراة ، فذلك قوله –عزَّ وجلَّ–:﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ أنهم كذبة ، وأن في التوراة تحريم الدماء والأموال إلا بحقها ، ولكن أمرهم بالإسلام وأداء الأمانة وأخذ على ذلك ميثاقهم ، فذلك قوله سبحانه:﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ ﴾ الذي أخذه الله عليه في التوراة وأدى الأمانة ،﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ محارمه ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ ، يقول : الذين يتقون استحلال المحارم[٢]" .

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٣٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ١٧٧/١.

أو" يعني: فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرَّمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به. وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول: هو اتقاء الشرك[١]".

أو تعني محبة الله لهم :"فيعزهم في الدنيا، ويكرمهم وينعمهم في الآخرة[٢]".

" وأتى بلفظ المتقين عامًا تشريفًا للتقوى وحضًا عليها[٣]".

وهذا السياق يعلن" البراءة التامة المطلقة من جميع المشركين.﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾واستمروا على عهدهم ، ولم يجر منهم ما يوجب النقض، فلا نقصوكم شيئًا، ولا عاونوا عليكم أحدًا، فهؤلاء أتموا لهم عهدهم إلى مدتهم، قَلَّت، أو كثرت؛ لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة وإنما يأمر بالوفاء.﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي[٤]".

أو " يحب من اتقاه بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه[٥]".

" قال المفسرون في هذه الآية: هؤلاء قوم مخصوصون أمر النبي – صلى الله عليه وسلم– بإتمام عهدهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة ومن اتبعهم وكان بقي لهم من مدتهم تسعة أشهر فأمر بإتمامها لهم[٦]".

---

(١) جامع البيان ٦/٦٢٥.

(٢) أوضح التفاسير. محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ٦٩– المطبعة المصرية ومكتبتها– الطبعة السادسة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان. تحقيق.عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ٢/٥٢٦–دار الكتب العلمية– بيروت–الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٣٢٨.

(٥) التفسير البسيط ١٠/٢٩١.

(٦) التفسير البسيط ١٠/٢٩١. وقيل : هم قبائل بني جذيمة وبنو مدلج وبنو الدئل من بني بكر. وقيل: هم قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش مع النبي – صلى الله عليه وسلم– يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين النبي – صلى الله عليه وسلم– وبين قريش، فلم يكن نقضه إلا هذا الحي من قريش فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم– بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر. ينظر: التفسير البسيط ١٠/٣٠٢،٣٠٣.

وسياق الآية الثالثة يشير إلى المشركين الذين أمست وأصبحت حياتهم بلا قيمة ولا هدف ولا معنى، فرفضوا داعي الإيمان واستجابوا لداعي الكفر، و" هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ الله ورسوله من المشركين، فقال:﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ هل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول الله والمؤمنين من أذيتهم؟ أما حاربوا الحق ونصروا الباطل؟

أما سعوا في الأرض فسادا؟ فيحق عليهم أن يتبرأ الله منهم ، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله.﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ ﴾ من المشركين﴿ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فإن لهم في العهد وخصوصًا في هذا المكان الفاضل حرمة، أوجب أن يراعوا فيها.﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)".

فنقض العهود مع الناس من باب المحرمات وأشد منها إثمًا وحرمة نقض العهود مع الله ؛ لذلك رفع الله –عزَّ وجلَّ– من شأن المتقين وأعلى قدرهم ؛ لأنهم استجابوا لربهم بالطاعة وامتنعوا عن معصيته وأدوا ما افترضه عليهم ولم يجعلوا بينهم وبين الله حجابًا يمنع وصول الحق إليهم ولكنهم أغلقوا ما بينهم وبين الشيطان فأغلق الله ما بينهم وبين المعاصي.

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٢٩.

العنوان السابع: باب الواو مع الكاف واللام في (المتوكلين)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران الآية ١٥٩).

من أجل طلب الرزق وقضاء الحاجات يسعى المؤمن دائمًا في حياته ولا يتكل على غيره ، وفي الوقت نفسه يتوكل على خالقه ويظهر عجز نفسه أمامه ويفوض أمره إليه قولا وعملا ، وإذا فكَّر وتدبَّر في أمر ما وهدي إليه يطلب من الله المعونة ويسأله التوفيق حتى يتم له أمره ، وهذا باب التوكل ، الذي يقول عن مادته ابن فارس:" الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك... والتوكُّل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك(١)".

فـ" المعنى المحوري: ترك أمر، أي: تفويض القيام به إلى من فيه الكفاية للقيام به وليس الضعف والعجز والبطء شروطًا ، بل هي حالات خاصة(٢)".

فـ " التَّوَكُّل: الاعتماد على الله مع إظهار العجز، والاسم التُّكْلان. يقال منه: اتَّكَلْتُ عليه في أمري(٣)".

فما من عمل يقصد به المسلم وجه ربه إلا وكان له منه ناصر ومعين ؛ لأن الاعتماد عليه يفتح مغاليق الأمور ويجعل الصعب سهلا والعسر يسرًا ، فما من مكروب لجأ إليه إلا وفرَّج كربه وأزال همه ، وربنا سبحانه وتعالى في الآية الكريمة يوجه نبيه محمدًا – صلى الله عليه

(١) مقاييس اللغة ١٣٦/٦.

(٢) المعجم الاشتقاقي ١٩٦٦/٤.

(٣)الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش٢٥٣/٤– دار الكتب المصرية – القاهرة– الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

وسلم- إلى التحلي بمكارم الأخلاق حتى مع من أساءوا إليه والدعاء لهم بكل خير؛ وفي الوقت نفسه يأمره بالأخذ بمبدأ الشورى فإن فيه الخير الوفير ؛ فكل فرد في المجتمع له قيمته وأهميته ، فإن اطمأن قلبك بعد ذلك إلى أمر ما وعزمت على فعله فلا تتردد في المضي فيه وتنفيذه على الفور ولكن مع الاعتماد على الله وتفويض الأمور إليه، "﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي : اعتمد على حول الله وقوته ، متبرئًا من حولك وقوتك:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ عليه ، اللاجئين إليه[١]".

فالمسألة واضحة تتجه إلى الأخذ بالأسباب ؛ لأن هذا لا يعنى الاعتماد على الله بل الجد والسعي من أجل التحصيل قاعدة أرستها مبادئ الإسلام ، " والتوكل الإقدام على فعل ما أمر الله تعالى به أو أذن فيه بعد إحضار الأسباب الضرورية له وعدم التفكير فيما يترتب عليه بل يفوض أمر النتائج إليه تعالى[٢]".

" وذلك أن العرب في الجاهلية كان إذا أراد سيدهم أن يقطع أمرا دونهم ولم يشاورهم شقَّ ذلك عليهم ، فأمر الله -عزَّ وجلَّ- النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشاورهم في الأمر إذا أراد ،

فإن ذلك أعطف لقلوبهم عليه ، وأذهب لضغائنهم ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾، يقول : فإذا فرق

الله لك الأمر بعد المشاورة فامض لأمرك ،﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، يقول: فثق بالله ،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ عليه ، يعني الذين يثقون به[٣]".

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٥٤.

(٢) أيسر التفاسير ٤٠٢/١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ١٩٩/١، ٢٠٠.

" قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله -عزَّ وجلَّ- أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم- بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألُّفًا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرةَ التي يُؤْمَن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفًا منه أمته مأتى الأمور التي تحزُبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته - صلى الله عليه وسلم- يفعله. فأما النبي - صلى الله عليه وسلم-، فإن الله كان يعرِّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صواب ذلك. وأما أمته، فإنهم إذا تشاوروا مستنِّين بفعله في ذلك، على تصادُق وتأخٍّ للحق، وإرادة جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حَيْد عن هدى، فالله مسدِّدهم وموفِّقهم.

وأما قوله: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، فإنه يعني: فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك، أو خالفها "وتوكل"، فيما تأتي من أمورك وتدع، وتحاول أو تزاول على ربك، فثق به في كل ذلك، وارض بقضائه في جميعه، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾، وهم الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه[1]".

وخلاصة الأمر كما" قال ابن عباس: وشاورهم في بعض الأمر ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات، لوجهين: أحدهما قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(١) جامع البيان ٧/٣٤٥،٣٤٦.

والآخر: الضمان الذي في قوله:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق من الآية ٣) وقد يكون واجبًا لقوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة من الآية ٢٣) فجعله شرطًا في الإيمان، والظاهر قوله -جلَّ جلاله-: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران من الآية ١٢٢) فإن الأمر محمول على الوجوب[١]".

فالهوى لا مجال له في هذا الباب وإنما حسن الظن بالله والاعتماد عليه والاجتهاد في تقدير الأمور ووزنها بما يتناسب مع حالها، وهذا حال من يتعامل مع الله أولا ثم يتعامل بعد ذلك مع نفسه ، فالرغبة في تجسيد الخير وجلبه بشتى الطرق ودفع الشر كذلك ليس فيه ما يمنع الاعتماد على الله وإنما فيه الحرص على الأخذ بالأسباب والاعتماد على رب الأسباب.

وبعد ، فهذه سبعة عناوين تضمنها هذا المبحث يلجأ إليها مَن يريد أن يكون في دائرة محبة الله وفي ظل معيته ، ليست في دائرة العبادات فقط ولكنها تضمنت باب المعاملات أيضًا حتى يعلم الجميع أن الإسلام وإن كان يرفع من شأن الأولى فإنه يفعل كذلك مع الأخرى ، فلا يجب أن نهمل الدين على حساب الدنيا ولا أن نهمل الدنيا بحجة العبادة ، فوسطية الإسلام تخالف ذلك وترفضه ، ونحن بذلك نكون قد سلطنا الضوء على تلك الدائرة التي يمثل كل عنوان فيها شعلة مضيئة لكل من يريد أن يصل إلى هذه الغاية النفيسة وتحقيق هذه الأمنية ما دام الأمل في الله باق والحياة في حيز الوجود.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. حققه د. عبد الله الخالدي ١٦٩/١- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

المبحث الثاني : من لا يحب الله في دائرة التصنيف المعجمي الألفبائي

سمات من لا يحب الله ولا يرضى عنه في القرآن الكريم تعبِّر عن نفسها في اختيار كل اتجاه يخالف تعاليم الإسلام ويقف لها بالمرصاد متحديًا لها أو معرضًا عنها ظانًّا أو متيقنًا في أن النجاة في البعد عنها ، تلك هي أمارات السوء التي تصطدم مع النقل والعقل وتجرِّد الإنسان من كل غال عقائدي ونفيس أخلاقي ، فتسطير محبة الله له عناوين إن أيقنت بها ودخلت في دائرتها وسطرت تاريخ مَن يحاول أن يقف على عتباتها كنت من أصحابها ، ولكن إن سلكت طريق من يخالف منهج الله ويحارب سنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– فأنت من سكان هذا الباب ، ودليل ذلك سلوك يغيِّر من طبيعة هذا الإنسان ويدفع به دائمًا إلى اختيار الأحسن والأفضل ، ليس من أجل دنيا يصيبها أو متاع زائف وزائل وإنما من أجل توطيد الحق ونشره والاستعانة بكافة السبل والوسائل التي تمكِّن له ، وإن لم تكن هي الحقيقة التي يسعى لتحقيقها فهو خارج من دائرة محبة الله ومعيته، والعناوين الآتية تجسِّد ملامح هذه الشخصيات على سبيل النماذج التي يعرض لها القرآن الكريم وليس على سبيل الحصر :

العنوان الأول: باب الجيم مع الهاء والراء في (الجهر) وباب السين مع الواو والهمزة في (السوء)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾(النساء الآية ١٤٨).

مكارم الأخلاق والدعوة إلى طهارة الظاهر والباطن عنوان التعامل بين الناس ، قاعدة عامة لا تقبل النقاش وطرح الآراء ، فهي مسألة لا تقبل الرأي والرأي الآخر وإنما تتسم دائمًا بمبدأ الوحدة ونبذ الفرقة وكل ما يؤدي إليها ، فالجهر بالسوء من القول موضع لا يقبله الله ولا يحبه ولا يرضى عنه كذلك في غير الجهر إلا من ظلم ، وهذا استثناء يستدعي النظر ويوجب البحث والتأمل.

فعن مادة لفظة (الجهر) قال ابن فارس: " الجيم والهاء والراء أصل واحد ، وهو إعلان الشيء وكشفه وعلوه ، يقال جهرت بالكلام أعلنت به [(١)]" .

ف" الجهر: الظاهر المكشوف ضد السر. يقال: جهرت الشيء: كشفته. وهو من قولهم: وجه جهير، أي: ظاهر الوضاءة. وجهرته وأجهرته بمعنى. وقوله:﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء من الآية ١٥٣)، أي: عيانًا غير متحجب، قالوه لجهلهم بصفاته العلى أو تعنتًا في الكفر[(٢)]" .

ف " المعنى المحوري: ظهور الشيء وانكشافه واضحًا بروزًا أو بزوال الكثيف الذي كان يغشاه أو شأنه كذلك[(٣)]".

(١) مقاييس اللغة ٤٨٧/١.

(٢)عمدة الحفاظ ٣٥٢/١

(٣) المعجم المؤصل الاشتقاقي ٣٥٤/١.

وعن مادة لفظة (السوء) قال ابن فارس : " السين والواو والهمزة ... إنما هي من باب القبح. تقول رجل أسوأ ، أي: قبيح ، وامرأة سوآء ، أي قبيحة ...[١]".

فـ " السوء: كل ما يغم الإنسان من الأمور الأخروية والدنيوية كفقد مال أو حميم. ويكنى به عن البرص لإساءة صاحبه. وبه فسر قوله تعالى:﴿ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ﴾(القصص من الآية ٣٢). وقيل: سليمة من كل آفة. والسوء أيضًا: كل ما يقبح. ولهذا قوبل بالحسنى. وقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ (الروم من الآية ١٠] [٢]".

فـ" المعنى المحوري: عيب أو نقص (قبح أو فساد أو مرض) يخالط ظاهر الشيء أو باطنه: كالبَرَص والمرض، وفساد الخياطة والعمل[٣]".

ومع ضم الجهر إلى السوء في هذا السياق القرآني والنظر في تلك المفردات التي تحيط بالآية من بدايتها إلى نهايتها تظهر الدلالة بكل صراحة ووضوح ، فـ "﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ لأحد من الناس ،﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ ﴾ ، يعني اعتدى عليه ، فينتصر من القول مثل ما ظلم ، ولا حرج عليه أن ينتصر بمثل مقالته ، نزلت في أبي بكر –رضي الله عنه– شتمه رجل والنبي – صلى الله عليه وسلم – جالس ، فسكت عنه مرارًا ، ثم ردَّ عليه أبو بكر – رضي الله عنه – فقام النبي – صلى الله عليه وسلم – عند ذلك ، فقال أبو بكر – رضي الله عنه– : يا رسول الله، شتمني وأنا ساكت ، فلم تقل له شيئًا، حتى إذا رددت عليه قمت ، قال : إن ملكًا كان يجيب عنك ، فلما أن رددت عليه ، ذهب الملك وجاء

(١) مقاييس اللغة ١١٣/٣.
(٢) عمدة الحفاظ ٢٣٠/٢.
(٣) المعجم المؤصل الاشتقاقي ٩٥٨/٢.

الشيطان ، فلم أكن لأجلس عند مجيء الشيطان[١] ،﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا ﴾ بجهر السوء،﴿ عَلِيمًا ﴾ به[٢]" .

فـ ﴿ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ﴾يختلف في الظالم عن المظلوم ، فـ " المظلوم يظهر بظلامته تشكيًا، ولكن الظالم يجهر بذلك ظلمًا[٣]".

والتعبير بالجهر لا يعنى أن الله –عزَّ وجلَّ– يرضى بذلك في غيره ولكن المقام قد ارتضى ذلك ، حيث" قال أهل المعاني: ولا غير الجهر أيضًا، ولكن يشبه أن تكون الحال أوجبت هذه القضية، كقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء من الآية ٩٤] والتبيُّن واجب في الظعن والإقامة، ولكن الحال أوجبت ذلك[٤]".

فالقبيح من القول أمر ترفضه تعاليم الإسلام ، ولكن من ظلم فمن حقِّه أن يظهر ذلك في عدة صور كما قال بعض أهل التفسير:" قوله تعالى﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾يعني لا يحب أن يذكر بالقول القبيح أحد من الناس﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ فيقتص من القول بمثل ما ظلم فلا حرج عليه ... ويقال:﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ فيدعو الله تعالى على ظالمه وقال الفراء ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾يعني ولا من ظلم . وقال السدي قوله:﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾فانتصر بمثل ما ظلم فليس عليه جناح. وقال الضحاك: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ ، أي: لا يحب لكم أن تنزلوا برجل فإذا ارتحلتم عنه

(١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين) (كتاب الغضب والحقد والحسد)(فضيلة الحلم) ١٠٧٦– دار ابن حزم، بيروت – لبنان– الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري المرسل أصح.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٦٧/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٦/٢.

(٤) التفسير البسيط ١٧٠/٧.

تذمون طعامه إلا رجلا أردتم النزول عليه عند حاجتكم فمنعكم. وقال مجاهد: هو في الضيافة إذا دخل الرجل المسافر إلى القوم يريد أن ينزل عليهم فلم يضيفوه فقد رخص له أن يذكر كلامًا عنهم يقول فيهم، ويقال: يعني يسبه بمثل ما سبه ما لم يكن كلامًا فيه حد أو كلمة لا تصلح ولو لم يقل لكان أفضل... ثم قال:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا ﴾ يعني دعاء المظلوم ﴿ عَلِيمًا ﴾بعقوبة الظالم[1]".

فجهر المظلوم إذًا ليس من باب السوء ولكنه من باب دفعه والتعبير عن رفضه بكثير من الأشكال وإن اختلفت في التعبير، فكما ذكر الزمخشري: "﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾إلا جهر مَن ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم. وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء. وقيل: هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ ﴾ (الشورى من الآية ٤١). وقيل: ضاف رجل قومًا فلم يطعموه، فأصبح شاكيًا، فعوتب على الشكاية فنزلت[2]".

وهذا ليس من باب العتاب الضمني ولكنه من باب المواجهة التي تستدعي التصريح لا التلميح في أن كل متحدث بالقبيح من الأقوال لا محل له في مجال مكارم الأخلاق ، ولا صوت له في عالم يريد أن يسطِّر تاريخ العظماء الذين سادوا وحملوا راية الحق إلى العالم أجمع إلا من ظلم وبان بالدليل ظلمه فعليه أن يجهر به دفاعًا عن حقِّه واستردادًا لما سُلِب منه، أو دعاء على ظالمه بالتضرع إلى الله – عزَّ وجلَّ– أن يأخذ حقه أو يقتص له منه.

(١) بحر العلوم ٣٧٧/١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٥٨٢/١– دار الكتاب العربي –بيروت –الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

العنوان الثاني: باب الخاء مع التاء واللام في (مختالا) وباب الفاء مع الخاء والراء في (فخورا)

١–قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء الآية ٣٦).

٢–قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

(لقمان الآية ١٨).

٣–قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد الآية ٢٣).

من خلال عنوان صريح لا يقبل التأويل تأتي ثلاثة مواضع في كتاب الله –عزَّ وجلَّ – تبين بوضوح وجلاء أنه سبحانه وتعالى لا يرضى ولا يحب من عباده الذي يتطاول على خلقه ويفخر ويعجب من نفسه ويظن أنه من خيرة خلقه ؛ لأنه لو كان كذلك لعلم حقيقة نفسه وذلَّت رقبته لخالقه وتواضع لخلقه ولم يعرف التيه دليلا إلى قلبه ، فامتثال الجوارح دليل امتلاء الفؤاد بالطاعة ، فالموضع الأول من هذه المواضع يأمر الله عباده أولا بعبادته وحده لا شريك له فهذه بداية طريق الفلاح والنجاح ، ثم الانقياد لأوامره والامتثال لها من خلال حرصهم على الإحسان إلى البشر جميعًا دون تفرقة بدءًا بالوالدين ثم ذوي القربى ، ثم من تجب محبتهم ومودتهم والسؤال عنهم وتفقد أحوالهم وإعطاء الصدقة

لهم ، والموضع الثاني يأمره بحسن التعامل مع الفقراء ومَن على شاكلتهم وهو قريب الدلالة من الموضع الأول ، والموضع الثالث يأمره بألا يحزن على ما فاته لأنه مقدَّر عليه قبل خلقه ولا يفرح بما في يده فقد لا يجده بعد لحظة واحدة ، وخلاف ذلك يدعو إلى الزهو والإعجاب بالنفس الذي لا محل له في عالم الأخلاق ومعادن الرجال.

ويقف الباحث وقفة تأمل وتدبر مع هاتين الصفتين اللتين تضيع معهما كل الأعمال الصالحة هباء منثورًا فتذهب معهما جبال الحسنات أدراج الرياح حتى يعلم المؤمن طبيعة التعامل مع الخلق والخالق.

فالصفة الأولى (مختالا) من الجذر اللغوي الذي قال عنه ابن فارس :" الخاء والتاء واللام أُصَيل فيه كلمة واحدة ، وهي الخَتْل ، قال قوم: هو الخَدْع . وكان الخليل يقول: تخاتَلَ عن غفلة [١]" .

وأما عن (فخورًا) فهي من الجذر اللغوي: " الفاء والخاء والراء أصل صحيح، وهو يدل على عِظَم وقِدَم. من ذلك الفخر... قال أبو زيد: فَخَرت الرجل على صاحبه أَفْخَرُه فخرًا ، أي: فضَّلته عليه[٢]".

ف" الاختيال: الزهو في المشي، والفخر والافتخار بالحسب والنسب والمال بتعداد ذلك وذكره[٣]".

فدلالة المفردات بداية التعرف على دلالة السياق ، فإذا تتبعنا المواضع الثلاثة وجدنا دلالة المفردتين واحدة ولكن مع الاحتفاظ لكل سياق بخصوصيته ومقامه ، فعن الموضع الأول" يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رِقِّ عبوديته، والانقياد

(١) مقاييس اللغة ٢/٢٤٥.
(٢) السابق ٤/٤٨٠.
(٣) أيسر التفاسير ٤/٤٧٦.

لأوامره ونواهيه، محبة وذلا وإخلاصًا له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة. وينهى عن الشرك به شيئًا لا شركًا أصغر ولا أكبر، لا ملكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمَن له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقِّه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب... فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله ، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا ﴾ أي: معجبًا بنفسه متكبرًا على الخلق ﴿ فَخُورًا ﴾ يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله، فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعهم من القيام بالحقوق[١]".

إذًا فـ " المختال : ذو الخيلاء والكبر. قال ابن عباس: يريد بالمختال العظيم في نفسه، الذي لا يقوم بحقوق الله... والاختيال: مأخوذ من (التَّخَيُّل)، والتخيُّل: التَّشَبُّه بالشيء ، ومنه يقال: (أخال عليه الأمرُ): إذا اشتبه، فالمختال ، يَتَخيَّل في صورة مَن هو أعظم منه كِبْرًا، والخيال: صورة الشيء... ومعنى الفخر في اللغة هو البذخ والتطاول، والفخور

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٧٧.

الذي يعدِّد مناقبه كبرًا وتطاولًا. قال ابن عباس: هو الذي يفخر على عباد الله بما خوَّله الله من كرامته وما أعطاه من نعمته[١]".

وتأكيدًا للدلالة " قال أبو جعفر: يعني بقوله -جل ثناؤه-:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا ﴾، إن الله لا يحب من كان ذا خُيَلاء. و"المختال: "المفتعل"، من قولك: "خال الرجل فهو يخول خَوْلا وخَالا"،...وأما "الفخور"، فهو المفتخر على عباد الله بما أنعم الله عليه من آلائه، وبسط له من فضله، ولا يحمده على ما أتاه من طَوْله، ولكنه به مختال مستكبر، وعلى غيره به مُسْتطيل مفتخر[٢]".

وخلاصة الأمر أن " المختال: الصَّلِفُ التيَّاه الجهول. وإنما ذكر الاختيال في هذه القصة.

لأن المختال يأنف من ذوي قراباته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، فلا يُحْسنُ عشرتهم[٣]" .

" فنفى سبحانه محبته ورضاه عمن هذه صفته، أي: لا يظهر عليه آثار نعمه في الآخرة. وفي هذا ضرب من التوعد. والمختال ذو الْخُيَلاء، أي: الْكِبْر. والفخور: الذي يعدد مناقبه كِبْرًا. والفخر: البَذَخُ والتطاول. وخص هاتين الصفتين بالذكر هنا لأنهما تحملان صاحبيهما على الأنفة من القريب الفقير والجار الفقير وغيرهم ممن ذكر في الآية فيضيع أمر الله بالإحسان إليهم[٤]".

---

(١) التفسير البسيط ٩٨/٥ ، ٦/ ٥٠٧،٥٠٨.

(٢) جامع البيان ٣٥٠/٨،٣٤٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤/٣. وينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي). حققه.عبد الرزاق المهدي ٦٢٠/١- دار إحياء التراث العربي -بيروت -الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩٢/٥.

وأما الموضع الثاني فهو عبارة عن وصية جامعة في كلمات تعلِّم الإنسان كيف يتعامل مع أخيه الإنسان ، فهم بنو جنس واحد لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، فالإعجاب بالنفس وتذكر النعم دون توجيه الشكر إلى واهبها يؤدي إلى جحدها وعدم الاعتراف بها ، حيث " قال لقمان لابنه:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ يقول: لا تعرض بوجهك عن فقراء الناس إذا كلموك فخرًا بالخيلاء والعظمة ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾، – يعني – عزَّ وجلَّ – كل بطر مرح فخور في نعم الله– تعالى– لا يأخذها بالشكر(١)".

فالدلالة تتجه إلى الكبرياء والتطاول على الخلق من باب الاستعلاء عليهم والظن أنه من طينة غير طينتهم ، فـ " لا تمشي بالخيلاء والمرح والبطر والأشر كله واحد وهو أن يعظم نفسه في النعم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ يعني مختالا في مشيته فخورًا في نعم الله –عزَّ وجلَّ–(٢)".

وأما عن الموضع الثالث فغير وارد في قاموس البشرية أن الحزن يبدأ مع الولادة وينتهي بدخول القبر، أو أن النعم يشترط لها الدوام والبقاء، فالسعادة والشقاء لباس المرء تارة يخلع هذا ويرتدي هذا ، حيث " قال المبرد: المعنى في قوله:﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أي: لا يكون منكم في هذا ولا في هذا ما يجاوز مقدار ما ينبغي فيه. وشرحه الزجاج فقال: معناه: لا تحزنوا حزنًا يطغيكم حتى يخرجكم إلى أن تلزموا أنفسكم الهلكة، ولا تعتدوا بثواب ما تسلبونه وما

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٢١.
(٢) بحر العلوم ٣/٢٤.

فاتكم، ولا تفرحوا فرحًا شديدًا تأثروا فيه وتبطروا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾فدل بهذا أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، فأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم. وهذا كله معنى ما روى عكرمة عن ابن عباس: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا للمصيبة صبرًا وللخير شكرًا[1]".

ف " قوله: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾ من الخير والغنيمة ﴿ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾

من الخير فتختالوا وتفخروا ، فذلك قوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ يعني متكبر عن عبادة الله –عزَّ وجلَّ– فخور في نعم الله تعالى لا يشكر[2]" .

أو"﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾يعني لكيلا تحزنوا﴿ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾ من الرزق والعافية إذا علمتم أنها مكتوبة عليكم قبل خلقكم﴿ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾ يعني بما أعطاكم في الدنيا ولا تفتخروا بذلك﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾يعني متكبرًا فخورًا بنعم الله تعالى ولا يشكروه[3]".

"فدل بهذا أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر له، فأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم[4]".

(١) التفسير البسيط ٢١/٣٠٧،٣٠٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣٢٦.
(٣) بحر العلوم ٣/٣٨٨.
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٢٨.

فكل شيء عند الله بقضاء وقدر، فالحزن على ما فات ليس من علامات الإيمان؛ لأنه مسطور قبل خلق الإنسان ، والفرح والسعادة بما في يدك لدرجة أن يخرج الإنسان عن جادة الصواب ويظن أن قد أدركه بفطنته وخبرته في الحياة وحسن تقديره للأمور فهو مذموم ؛ لأنه يدعو إلى التعالي ونسيان أو تناسي نسبة الفضل إلى صاحب الفضل سبحانه وتعالى.

فهذا باب من تلك الأبواب التي توصي بالدخول في عالم الطاعة بعد معرفته والإحاطة بجميع دقائقه بدءًا بعبادة الله والإحسان إلى الناس جميعًا حتى لا يتحول خلاف ذلك إلى الزهو والإعجاب بالنفس فترى الحياة بغير صورتها والنفس في عالم لا يرى إلا نفسه ولا يحب إلا حاله، فإذا أردت أن تفرح بنعم الله عليك فهنيئًا لك ولكن دون طغيان وتجاوز للحدود المسموح بها ؛ وذلك لأن التجاوز في هذا الباب قد يؤدي إلى التعالي والتكبر والفخر، وهذا بالتالي يؤدي إلى عدم شكر النعم ونسبتها إلى المنعم سبحانه وتعالى.

العنوان الثالث: باب الخاء مع الواو والنون في (خوان) وباب الهمزة مع الثاء والميم في (أثيم)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾(النساء الآية ١٠٧) .

جاء الإسلام من أجل رفعة الإنسان على وجه العموم وبيان تفضيله وتكريم الله له ونقله من حياة التعبُّد للأوثان والأصنام والحجارة لعبادة الواحد الأحد الذي لا شريك له ، ومن ثم ترسيخ المبادئ السامية التي تضمن حقه في أن يعيش حياة كريمة فاضلة ليس فيها أي وجه من وجوه النقص أو الازدراء من قيمته أو التهوين من شأنه ، فله أن يفخر ويعتز بنفسه وبكرامته في سبيل الحق ولكن ليس من حقه أن يهدم تلك المبادئ التي تأمره بحسن التعامل مع غيره بحجة أنه مسلم والآخر يدين بدين آخر، بل على العكس من ذلك فينبغي أن يجسِّد الصورة الحقيقية للإسلام في شخصه وفي ضرورة التزين والتحلي بقيمه وأخلاقه ، وقد جاءت الآية الكريمة من أجل توضيح تلك الصورة وتقديمها كنموذج حيٍّ لتعاليم الإسلام حتى يعرف العالم أجمع أن الإسلام لا يحمي المسلم بحجة أنه مسلم لو كان مخطئًا بل يقدمه للمحاكمة إن أخطأ في حقِّ غيره أو تسبَّب في إيذائه أو كان مصدر إيلام له.

وفي هذا الباب تذكر الآية الكريمة أن الله –عزَّ وجلَّ– لا يحب من اتصف من عباده بصفتي الخيانة والإثم حتى لو كان مسلمًا فليس ذلك له مسوغًا أو دافعًا لارتكاب هذه الحماقات ، فالخوان من" الخاء والواو والنون

أصل واحد ، وهو التنقص. يقال خانه يخونه خونًا . وذلك نقصان الوفاء. ويقال تخوَّنني فلان حقِّي ، أي: تنقَّصني[١]".

وأما عن (أثيم) فهي من" الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد، وهو البطء والتأخر. يقال: ناقة آثمة، أي: متأخرة[٢]".

وبالجمع بين (خوان) و(أثيم) في سياق واحد تخبر الدلالة عن نفسها في تلك الواقعة التي شهد فيها الإسلام للحق –وهو دائمًا لا يشهد إلا للحق– ؛ وذلك بما حدث من طُعْمة بن أبيرق المسلم ورميه اليهودي بسرقة الدرع فكان هذان الوصفان له بالمرصاد ،" يريد خوَّانًا في الدرْع، أثيمًا في رميه اليهودي[٣]".

" والاختيان: افتعال من الخيانة، واختيانهم أنفسهم جعلهم إياها خائنة بما يفعلونه، كقولك: ظلم نفسه. إن قيل: لم خصَّ لفظ الخوَّان بنفي المحبة عنه، وهو لا يحب الخائن أيضًا؟

فتُرجى له المحبة، فإذًا الخائن قد يكون محبوبًا على وجه. وقيل: تخصيصه هاهنا تعريض بهم، وتعظيم لفعلهم. وتنبيه أن من يتحرى خيانة ولا يستمر عليها فهو مُعرَّض أن يقلع فيحبه، ومتى استمر عليها صار مطبوعًا على قلبه، لا يقلع والخوان لا يكون محبوبًا بوجه[٤]".

" وإنما قال تعالى لطُعْمَة ولمَن ذَبَّ عنهم: إنهم يختانون أنفسهم لأن مَن أقدم على المعصية فقد حرم نَفسه الثواب وأوصلها إلى العقاب، فكان ذلك منه خيانة مع نفسه، ولهذا المعنى يقال لِمَن ظلم غيره: إنه ظلم

(١) مقاييس اللغة ٢٣١/١.

(٢) السابق ٦٠/١.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٦٩٩/١.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق ودراسة د. عادل بن علي الشِّدِي١٤٢٨/٣– دار الوطن – الرياض– الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

نفسه. واعلم أن في الآية تهديدًا شديدًا، وذلك لأن النبي – عليه الصلاة والسلام– لما مال طبعه قليلًا إلى جانب طُعْمة، وكان في علم الله أن طُعْمة كان فاسقًا، فالله تعالى عاتب رسوله على ذلك القدر من إعانة المذنب، فكيف حال من يعلم من الظالم كونه ظالمًا ثم يعينه على ذلك الظلم، بل يحمله عليه ويرغبه فيه أشد الترغيب. ثم قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ قال المفسرون: إن طُعْمة خان في الدرع، وأثم في نسبة اليهودي إلى تلك السرقة فلا جرم قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾. فإن قيل: لم قال﴿ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ مع أن الصادر عنه خيانة واحدة وإثم واحد. قلنا: علم الله تعالى أنه كان في طبع ذلك الرجل الخيانة الكثيرة والإثم الكثير، فذكر اللفظ الدال على المبالغة بسبب ما كان في طبعه من الميل إلى ذلك، ويدل عليه ما رويناه أنه بعد هذه الواقعة هرب إلى مكة وارتدَّ ونقب حائط إنسان لأجل السرقة فسقط الحائط عليه ومات، ومن كان خاتمته كذلك لم يشك في خيانته، وأيضًا طلب من النبي–عليه الصلاة والسلام– أن يدفع السرقة عنه ويلحقها باليهودي، وهذا يبطل رسالة الرسول، ومن حاول إبطال رسالة الرسول وأراد إظهار كذبه فقد كفر، فلهذا المعنى وصفه الله بالمبالغة في الخيانة والإثم. وقيل: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات[1]".

والخلاصة أن" (الاختيان) و(الخيانة) بمعنى الجناية والظلم والإثم ، وهذا يشمل النهي عن المجادلة، عن من أذنب وتوجه عليه عقوبة من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما صدر منه من الخيانة، أو بدفع ما

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١١ /٢١٣– دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾أي: كثير الخيانة والإثم ، وإذا انتفى الحب ثبت ضده وهو البُغْض، وهذا كالتعليل، للنهي المتقدم[١]".

فالذنب في حالة التوبة والإقلاع عنه والاستغفار والاعتراف بالتقصير والعزم على عدم العودة إليه تتجلى من خلاله صدق النية وقوة الإيمان التي تنير الطريق ؛ وبالتالي الستر والرضا والعفو والمغفرة ؛ وذلك لحالة الضعف التي قد تعتري الإنسان بين لحظة وأخرى ولكن مع الإصرار عليه وتأكيد حصوله ومحاولة توثيقه كشرع أو مبدأ فتلك طامة كبرى لا يرضاها ربنا ولا يحبها أن تصدر من عباده ؛ لأن فيها محاربة له ولدينه الذي ارتضاه لعباده ، فالله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا، فالإسلام يشهد دائمًا للحق حتى مع غير المسلم؛ لأن هذه مبادئ والمبادئ لا تتجزأ.

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٠٠.

العنوان الرابع: باب الخاء مع الواو والنون في(خوان) وباب الكاف مع الفاء والراء في(كفور)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج الآية ٣٨).

المؤمنون دائمًا في كنف الله ورعايته وحفظه مهما صادفهم من مشكلات ومهما حاول المشركون النيل منهم ومن عقيدتهم ؛ لأن الخيانة ليست من طبيعتهم واتباع أوامر الله –عزَّ وجلَّ– تاج فوق رءوسهم والبعد عن نواهيه منهج حياتهم ، يعرفون قدر دينهم وإيمانهم وما ينبغي أن يكون وألا يكون ، يشكرون على النعم ويصبرون على الابتلاءات والنقم ؛ لأنهم يعرفون جيدًا أن الله لا يحب كل خوان كفور، فـ "الخوَّان مبالغة في خائن، والكفور مبالغة في كافر[١]".

والكفور من الجذر اللغوي :" الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو الستر والتغطية . يقال لمن غطى درعه بثوب : قد كفر درعه... والكُفْر ضد الإيمان ، سمي؛ لأنه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة : جحودها وسترها[٢]".

وقد قيل في مناسبة نزول هذه الآية أنه" روي أنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكةَ وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله:" كَفُور". فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى أفصح نهي عن الخيانة والغدر ... وقيل: المعنى يدفع عن المؤمنين بأن يديم توفيقهم حتى يتمكَّن الإيمان من قلوبهم، فلا تقدر

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤١/٢.
(٢) مقاييس اللغة ١٩١/٥.

الكفار على إمالتهم عن دينهم، وإن جرى إكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم. وقيل: يدفع عن المؤمنين بإعلائهم بالحجة. ثم قتل كافر مؤمنًا نادر، وإن فيدفع الله عن ذلك المؤمن بأن قبضه إلى رحمته...[١]".

فعن تذييل الآية بـ" قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ قال ابن عباس: يريد: خانوا الله، وجعلوا معه شريكًا، وكفروا نعمه. وقال أبو إسحاق: إنَّ من ذكر غير اسم الله، وتقرب إلى الأصنام بذبيحة ؛ فهو خوان كفور وقال أهل التفسير: كل خوان في أمانة الله كفور لنعمته[٢]".

وهذا ما نص عليه الزجاج قبل ذلك بقوله: "وقوله: ﴿ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ ﴿ خَوَّانٍ ﴾ فعَّال من الخيانة، أي: من ذكر اسم غير الله وتَقَرَّب إلى الأصنام بذبيحته فهو ﴿ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[٣]".

وقيل:"﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ ﴾ إن الله لا يحب كل خوَّان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان﴿ كَفُورٍ ﴾ يقول: جحود لنعمه عنده، لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها. وقيل: إنه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم[٤]".

و"هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر- بسبب إيمانهم- من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٢.

(٢) التفسير البسيط ٤٢٣،٤٢٢/١٥. وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن) ٢٥٨/٣- دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٩/٣. وينظر: بحر العلوم ٤٦١/٢.

(٤) جامع البيان٦٤٢/١٨. وينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة. حققه.عبد الله علي القرشي رسلان٥٣٦/٣ –الناشر د.حسن عباس زكي –القاهرة–الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

نزول المكاره ، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ ﴾ أي: خائن في أمانته التي حمله الله إياها، فيبخس حقوق الله عليه، ويخونها، ويخون الخلق.

﴿ كَفُورٍ ﴾ لنعم الله، يوالي عليه الإحسان، ويتوالى منه الكفر والعصيان، فهذا لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقته، وسيجازيه على كفره وخيانته، ومفهوم الآية، أن الله يحب كل أمين قائم بأمانته، شكور لمولاه[1]".

والخلاصة فـ " قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ تعليل وهم المشركون الذين صدوا رسول الله والمؤمنين عن المسجد الحرام وهم الخائنون لأماناتهم وعهودهم الكافرون بربهم ورسوله وكتابه وبما جاء به، ولما كان لا يحبهم فهو عليهم، وليس لهم. ومقابله أنه يحب كل مؤمن صادق في إيمانه محافظ على أماناته وعهوده مطيع لربه، ومن أحبَّهُ دافع عنه وحماه من أعدائه[2]".

وبعد هذا الشرح والتحليل نستنتج أن الله –عزَّ وجلَّ– ناصر عباده المؤمنين ومؤيدهم وسوف يرد عنهم كيد الكائدين الذين ابتلت عروقهم بخيانة عهد الله ورسوله وكفروا نعمه ، فلم تنطق قلوبهم بالإيمان ولم يؤثَر عنهم صدق مع النفس ، وبالتالي لم يتغير سلوكهم أو يختلف مسار حياتهم ، وأن المؤمنين مهما ضاقت بهم الحياة وتعرضوا لكثير من الأزمات فالله معهم ولن يتركهم لعدوهم.

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥٣٩.
(٢) أيسر التفاسير ٤٧٩/٣.

العنوان الخامس: باب السين مع الراء والفاء في (المسرفين)

١–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام الآية ١٤١).

٢–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف الآية ٣١).

الوسطية ميزان الاعتدال ومنهج الله في الأرض؛ فالإفراط أو التفريط كلاهما مرٌّ، فبعض الناس قد يحرّم ما أحلَّ الله له ويعتقد أن ذلك من باب القرب إلى الله تعالى، أو ينفق جميع ماله في أبواب الخير دون أن يبقي شيئًا لمَن يعولهم ويتولى أمر الإنفاق عليهم فيصبحوا بذلك فقراء يطلبون الحاجة من الناس فيعرضهم ذلك لذلة السؤال، أو أن يستزيد في أكل الطيبات فوق حاجته، فيأتي القرآن الكريم بلفظة ﴿ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ فتقرع الأسماع وتنبه القلوب حتى يتفهَّم المسلم حقيقة دينه ، فباب الطيبات كثير والمحرمات حدَّدها الشارع في أبواب معدودة.

و" السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضًا للشيء. تقول في الأمر سرَف. أي: مجاوزة القدر[(١)]" .

ف " الإسراف: تجاوز الحد في سائر الأفعال ، إلا أنه غلب في الإنفاق...[(٢)]".

وبإيجاز ذكر مقاتل معنى الإسراف في الآيتين وخصه بتحريم ما أحلَّ الله في باب الحرث والأنعام ، ففي سورة الأنعام ذكر في تفسيره : "ولا تشركوا الآلهة في تحريم الحرث والأنعام[(٣)]".

(١) مقاييس اللغة ١٥٣/٣.

(٢) عمدة الحفاظ ١٩٣/٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٧٤/١.

وفي سورة الأعراف يقول : " ولا تشركوا الآلهة في تحريم الحرث ، والأنعام ، والثياب ، والألبان ، مما هو حلٌّ لكم ،﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾، يعني المشركين[١]" .

وبشيء من التفصيل وفي موضع الأنعام" قال أبو العباس عن ابن الأعرابي: السَّرَف تجاوز ما حُدَّ لك. وقال شَمِر: سَرَف الماء ما ذهب منه في غير سقى ولا نفع. قال: أرْوَت البئر النخيل وذهب بقيَّة الماء سَرَفًا ، فإن أخذت الإسراف مما قاله ابن الأعرابي فهو: مجاوزة الحد، وإن أخذت من قول شمر فهو: الإنفاق فيما لا يجدي عليك ، وقد فسر الإسراف بالوجهين في هذه الآية[٢]".

فـ" الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله مما حرم الله تعالى أن يؤكل شيء منه، أو تأكل مما أحلَّ لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم الله – عزَّ وجلَّ– أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يحْبِبْهُ الله –عزَّ وجلَّ– فهو في النار[٣]".

وخلاصة الأمر أن :" قوله:﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حقِّ الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه[٤]".

وأما عن الإسراف في موضع الأعراف فقيل :" ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ بتحريم الحلال أو بالتعري في الطواف أو بإفراط الطعام أو الشره عليه، وعن ابن عباس– رضي الله عنهما–: كل

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٨٩/١.
(٢) التفسير البسيط ٤٨٠/٨،٤٨١.
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣٣/٢.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ٢٧٦.

ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطاك خصلتان سرف ومخيلة[١]".

" والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشارب واللباس[٢]، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ فإن السَّرَف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما[٣]".

فلا ضرر ولا ضرار قاعدة إسلامية تشير بعقل وفهم إلى عنوان الحياة ووزنها بميزان صحيح وضرورة التعايش معها بوسطية ، فمحبة الله -عزَّ وجلَّ- غالية لا ينالها إلا مَن يستحقها ، وهؤلاء المسرفون الذين تجاوزوا حد الاعتدال في كل شيء وظنوا أنهم على جادة الطريق هم في الحقيقة خارج حدوده .

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ٤٧٢/١- مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ١٢٨٥ هـ. والحديث في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري.الزيلعي. تحقيق .عبد الله بن عبد الرحمن السعد(سورة الأعراف) ٤٥٩/١- دار ابن خزيمة – الرياض- الطبعة الأولى١٤١٤هـ.

(٢) تنوَّق فلان في منطقه وملبسه وأموره:إذا تجوَّد وبالغ. لسان العرب (ن و ق) ٤٥٨٢/٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٢٨٧.

العنوان السادس: باب الظاء مع اللام والميم في (الظالمين)

١-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران الآية ٥٧) .

٢-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران الآية ١٤٠).

٣-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الشورى الآية ٤٠).

جميع الناس يعيشون في كنف الله ورعايته، يحفظهم بحفظه ويرزقهم من فضله تكرمًا منه فوجب عليهم التزام حدوده التي شرعها لهم دون محاولة التحايل أو إبداء الأسباب التي تخرجهم من تلك الدائرة ، فالعقول مهما بلغت من نضج التفكير وحسن التدبير لها حدود تقف عندها لا تستطيع أن تتخطَّاها ، فوضع الشيء في غير موضعه ، أو ما يعرف بالظلم عاقبته وخيمة في الدنيا قبل الآخرة ، والليل الحالك إن لم تتخذ له دليلا أودى بك إلى المهالك ، و" الظاء واللام والميم أصلان صحيحان ، أحدهما خلاف الضياء والنور ، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدّيًا[1]".

(١) مقاييس اللغة ٤٦٨/٣.

"والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به ، إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه(١)".

والظالمون في الآية الأولى كما ذكر علماء التفسير :"﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، فإنه يعني: والله لا يحبُّ من ظلم غيره حقًّا له ، أو وضع شيئًا في غير موضعه. فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده، فيجازي المسيء ممن كفر جزاء المحسنين ممن آمن به ، أو يجازي المحسن ممن آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه ، جزاء المسيئين ممن كفر به وكذَّب رسله وخالف أمره ونهيه. فقال: إني لا أحب الظالمين، فكيف أظلم خلقي؟ وهذا القول من الله تعالى ذكره، وإن كان خرج مخرج الخبر، فإنه وعيد منه للكافرين به وبرسله ، ووعد منه للمؤمنين به وبرسله؛ لأنه أعلم الفريقين جميعًا أنه لا يبخس هذا المؤمن حقه، ولا يظلم كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه، فيكون لها بوضعها في غير أهلها ظالمًا(٢)" .

وعلى ذلك" ومعنى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: لا يرحمهم، ويعذبهم ولا يثني عليهم خيرًا، هذا معنى البغض من الله، ومعنى المحبة منه الرحمة والمغفرة والثناء والجميل(٣)".

وأما عن (الظالمين) في الآية الثانية فقد "قال أبو جعفر: وأما قوله:"﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، فإنه يعني به : الذين ظلموا أنفسهم

(١) عمدة الحفاظ ٩/٣.
(٢) جامع البيان ٤٦٥/٦،٤٦٦.
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٢١/١.

بمعصيتهم ربهم ... أي: المنافقين الذي يظهرون بألسنتهم الطاعة، وقلوبهم مصرَّة على المعصية[١]".

وتم تخصيص الدلالة في هذا السياق بأنهم" الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضًا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله[٢]".

ولكن عن هذا السياق وتوجيه الخطاب فيه :" قال ابن عباس: أي: المشركين[٣]".

وقيل :" أي الجاحدين[٤]".

وعن الآية الثالثة قيل :" إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه[٥]".

فالسلامة إذًا تأتي في الاتباع لا في الابتداع ، فالإساءة دون وجه حق ليس لها محل في عالم الشرفاء الذين يقدرون الأمور حق قدرها ويوفون بعهد الله معهم دون تعد أو تجاوز ، فالكل في ميزان واحد والتفاضل ليس بقانون الدنيا الذي شرعه الناس لأنفسهم بل بأمر الله الذي حدَّه بالتقوى والعمل الصالح.

(١) جامع البيان ٢٤٤/٧. وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ١٩٣/٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ١٤٩.
(٣) التفسير البسيط ٦/ ١٩. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢١٩/٤.
(٤) بحر العلوم ٢٧٨/١.
(٥) جامع البيان٥٤٨/٢١.

العنوان السابع : باب العين مع الدال والواو في (المعتدين)

١–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(البقرة الآية ١٩٠) .

٢–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (المائدة الآية ٨٧).

٣–قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف الآية ٥٥).

في ظل الإسلام وتعاليمه يعيش الجميع في سلام وأمن واطمئنان ، فالاعتداء على الغير ليس من منهجه والبدء بالعدوان ليس من عالمه حتى في أوقات الحروب وأصعب اللحظات ، فالحياة الآمنة تحت لوائه حق الجميع ، ليس ذلك فحسب ولكنها حياة من يرى الدنيا بعين التآلف والتوادِّ والتحابِّ كوحدة وإخوَّة إنسانية تجمع بين بني البشر جميعًا برباط واحد دون محاولة فرض السيطرة أو الدخول في عالم ليس له عنوان ، بل عنوان الباب واضح تمام الوضوح لا شبهة فيه ولا تحايل، يخبر عن نفسه بكل عزَّة وشموخ بأن الله لا يحب المعتدين ، وكذلك لا يرضى عنهم حتى في محاولة التقرب إليه بتحريم ما أحلَّ لهم من الطيبات ، وكذلك في حالة الجهر بالدعاء لأنه سبحانه وتعالى يعلم سرهم ونجواهم.

ف" العين والدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها ، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدُّم لما ينبغي أن يقتصر عليه[١]".

(١) مقاييس اللغة ٢٤٩/٤.

والآية الأولى تخبر عن هذا العنوان فتأتي في سياق الحروب وتنهي المسلمين أن يبدءوا غيرهم بالقتال خاصة في الأشهر الحرم التي حرَّم الله فيها القتال ، ولكنه مشروط بشرط عدم الاعتداء عليهم ومقيد بقيد العيش بسلام ، فإن حدث خلاف ذلك فليس على المسلمين من حرج في دفع هذا العدوان ، "وقوله سبحانه :﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾ ، وذلك أن الله –عزَّ وجلَّ– نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين عن الشهر الحرام أن يقاتلوا في الحرم إلا أن يبدأهم المشركون بالقتال ، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – بينا هو وأصحابه معتمرون إلى مكة في ذي القعدة ، وهم محرمون عام الحديبية ، والمسلمون يومئذ ألف وأربعمائة رجل ، فصدهم مشركو مكة عن المسجد الحرام وبدءوهم بالقتال ، فرخَّص الله في القتال ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ فتبدأوا بقتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم ، فإنه عدوان ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1]".

"فمعنى قوله: "ولا تعتدوا": لا تقتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابين والمجوس،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ الذين يجاوزون حدوده، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حَرَّم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم[2]".

وأما الآية الثانية فتأتي في سياق تحريم ما أحلَّ الله من الطيبات رغبة في التقرب إليه ونيل رضاه ، وهذا أمر تأباه شريعة الإسلام وتنهى عنه ، فـ " قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١/١٠١.

(٢) جامع البيان ٣/٥٦٤. وينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/٢٦٣

لَكُمْ ﴾من اللباس والنساء ، نزلت في عشر نفر ، منهم : علي بن أبي طالب – رضى الله عنه– وعمر ، وابن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وعثمان بن مظعون ، والمقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ورجل آخر ، اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون – رضى الله عنهم– ، ثم قالوا : تعالوا حتى نحرم على أنفسنا الطعام واللباس والنساء ، وأن يقطع بعضهم مذاكيره ، ويلبس المِسْح[1]، ويبنوا الصوامع ، فيترهبوا فيها ، فتفرقوا وهذا رأيهم . فجاء جبريل – عليه السلام – فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك ، فأتى منزل عثمان بن مظعون – رضي الله عنه – فلم يجدهم ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لامرأة عثمان : أحقٌّ ما بلغني عن عثمان وأصحابه ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فأخبرها النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي بلغه ، فكرهت أن تكذب النبي – صلى الله عليه وسلم – ، أو تفشي سر زوجها ، فقالت : يا رسول الله، إن كان عثمان أخبرك بشيء ، فقد صدقك ، أو أخبرك الله –عزَّ وجلَّ– بشيء ، فهو كما أخبرك ربك تعالى ذكره ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : قولي لزوجك إذا جاء : إنه ليس مني من لم يستن بسنتي ، ويهتد بهدينا ، ويأكل من ذبائحنا ، فإن من سنتنا اللباس ، والطعام ، والنساء ، فأعلمي زوجك ، وقولي له : من رغب عن سنتي فليس منى. فلما رجع عثمان وأصحابه أخبرته امرأته بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – ، (فقال عثمان: والله لقد بلغ النبي أمرنا) فما أعجبه ، فذروا الذي كره النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فأنزل الله –عز وجل– :

(١) المِسْح:الكساء من الشَّعَر. لسان العرب (م س ح) ٤١٩٨/٦.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾، فتحرموا حلاله ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ من يحرم حلاله ، ويعتدي في أمره -عزَّ وجلَّ-[1]".

" قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيهم -صلى الله عليه وسلم- أنه حق من عند الله ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ ، يعني بـ"الطيبات"، اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إيَّاها، كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرَّموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم، وساح في الأرض بعضهم. يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون، كما فعل أولئك، ولا تعتدوا حدَّ الله الذي حدَّ لكم فيما أحلَّ لكم وفيما حرَّم عليكم، فتجاوزوا حدَّه الذي حدَّه، فتخالفوا بذلك طاعته، فإن الله لا يحبُّ من اعتدى حدَّه الذي حدَّه لخلقه، فيما أحلَّ لهم وحرَّم عليهم[2]".

وأما الآية الثالثة فتأتي في سياق الحديث عن الدعاء وتؤكد على أن الهدف منه الإخلاص "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱدۡعُواْ ﴾، أيها الناس، ﴿ رَبَّكُمۡ ﴾وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام﴿ تَضَرُّعًا ﴾، يقول: تذلُّلا واستكانة لطاعته﴿ وَخُفۡيَةً ﴾ يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣١٨،٣١٧/١.والحديث برواية أخرى في المغني عن حمل الأسفار لأبي الفضل العراقي. تحقيق. أشرف عبد المقصود(كتاب عجائب القلب) ٧٢٦،٧٢٥/٢ -مكتبة طبرية- الرياض- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) جامع البيان ٥١٤،٥١٣/١٠. وينظر :معاني القرآن وإعرابه ٢٠١/٢.

لا جهارًا ومراءاة، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله، ...وأما قوله:﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ، فإن معناه: إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حدَّه الذي حدَّه لعباده في دعائه ومسألته ربه، ورفعه صوته فوق الحدِّ الذي حدَّ لهم في دعائهم إياه، ومسألتهم، وفي غير ذلك من الأمور(١)".

فالدعاء مشروع في كل حال ولكن مع صدق النية وصفاء القلب، وهذه نماذج ذكرها القرآن الكريم في باب الاعتداء وتجاوز الحدود ليست على سبيل الحصر والإحصاء وإنما هي أدلة نسترشد بها في جميع الأحوال، فالإفراط في جانب أو التفريط فيه قد يدخل صاحبه إلى هذا الباب من حيث لا يدري ، فإن تعدَّدت الطرق إلى تؤدِّي إلى أبواب الخير إلا أن المبدأ واحد لا يتجزأ وإن تجزأ خرج عن حدوده وفقد الهدف من وجوده.

(١) جامع البيان١٢/٤٨٥،٤٨٦. وينظر : تفسير البسيط ٩/١٧٨:١٨٠.

العنوان الثامن : باب الفاء مع الراء والحاء في (الفرحين)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ (القصص الآية ٧٦).

السعادة التي يعقبها الشكر ورد الفضل إلى صاحب الفضل سبحانه وتعالى لون من ألوان الإيمان وشكل من أشكال الاعتراف بالنعم ، ولن يستطيع البشر تغيير دفة حياتهم واتجاه مستقبلهم إلا بالتغلب على نزغات الشيطان ووساوس النفس ، وفوق ذلك توفيق الله عزَّ وجلَّ لهدايتهم ، فالدنيا بما فيها من ألوان الشهوات تدفع كثيرًا من الناس إلى ارتكاب كثير من الحماقات فتراهم ينسبون ما أنعم الله عليهم من الفضل والتوفيق لأنفسهم دون محاولة التفكير أو النظر في تقلبات الحياة من حولهم وتعرضهم لكثير من أنواع الابتلاء التي ينبغي أن تذكرهم بأن الأيام دول إن سرَّتهم وقتًا ما قد تسوءهم وقتًا آخر، فالسعادة لمَن يضع الأمور في نصابها الصحيح دون محاولة التشويه أو التزوير، والفرح لذة وقتية قد تنقضي بعد لحظات.

ومادة هذا العنوان تحمل طابع السعادة في أحد أبوابها ، وهو أحد ركني الدلالة فيها ، فـ" الفاء والراء والحاء أصلان ، يدل أحدهما على خلاف الحزن ، والآخر الإثقال . فالأول الفَرَح ، يقال فَرِح يَفرَح فَرَحًا ، فهو فَرِح. قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (غافر الآية ٧٥)... [1]".

(١) مقاييس اللغة ٤/٥٠٠.

فـ" الفرح: انشراح الصدر، وأكثر ما يكون بلذة دنيوية عاجلة ، ومن ثم نهي عنه في قوله: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (الحديد من الآية ٢٣) [١]".

ولما تعددت ألوان الفرح وتشكَّلت بكثير من الأشكال نهت الآية الكريمة عن تجاوز الحد حتى لا ينقلب الشيء إلى نقيضه وتسوء الأحوال بعد حسن ، والفرح بالمال واعتقاد أنه من عند النفس هو باب من أبواب الطغيان والإفساد في الأرض ، وهذا ما حدث مع قارون الذي دفعه حب المال وكثرته إلى طرق أبواب الفساد والبغي في الأرض ، حيث قيل في بعض كتب التفسير :

" ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ يعنى من بني إسرائيل ، وكان ابن عمه ، قارون بن أصهر بن قوهت بن لاوي بن يعقوب ، وموسى بن عمران بن قوهت ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾

يقول : بغي قارون على بني إسرائيل من أجل كنزه ماله ﴿ وَآتَيْنَاهُ ﴾ يعنى وأعطيناه ﴿ مِنَ الْكُنُوزِ ﴾ يعنى من الأموال ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ﴾ يعنى خزائنه ﴿ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ والعصبة من عشرة نفر إلى أربعين ، فإذا كانوا أربعين فهم أولو قوة يقول : لتعجز العصبة أولو القوة عن حمل الخزائن ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ﴾ بنو إسرائيل ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ يقول :

لا تمرح ولا تبطر ولا تفخر بما أوتيت من الأموال ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ يعنى المرحين البطرين[٢]" .

فمحبة الله –عزَّ وجلَّ– لا تطرق أبواب هؤلاء الفرحين، " يعني: الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم. قاله مجاهد ومقاتل .

(١) عمدة الحفاظ ٣/٢١٠،٢١١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٥٠٥.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد: المستهزئين. وهو معنى وليس بتفسيره وذلك أن الاستهزاء من علامات البطر. وقال أبو إسحاق: أراد لا تفرح بكثرة المال في الدنيا، لأن الذي يفرح بالمال يصرفه في غير أمر الآخرة . والدليل على أنهم أرادوا لا تفرح بالمال في الدنيا، قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾ (القصص من الآية ٧٧) واطلب فيما أعطاك الله من المال والخير والنعمة والسعة[1]".

فقد لا يمتلك بعض الناس شيئًا من الدنيا ولكن راحتهم النفسية وقناعتهم بفضل الله عليهم يهب قلوبهم السعادة ، وقد يمتلك الآخرون الدنيا كلها ولا يشعرون بذلك ، فهي شيء نسبي يختلف من شخص لآخر على حسب النظرة إليه ، فلا إشكالية أن تفرح والإسلام لا يحارب الفرح ولكنه ينهى عن اتخاذه وسيلة من وسائل التجبر والتكبر في الأرض.

(١) التفسير البسيط ٤٥٦/١٧.

العنوان التاسع : باب الفاء مع السين والدال في (الفساد) و(المفسدين)

١–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة الآية ٢٠٥).

٢–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة الآية ٦٤).

٣–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص الآية ٧٧).

ما دامت الصفة مرفوضة فالمتصفون بها كذلك ، فالله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد باعتبار دلالته تعني الخروج عن طاعته والمفسدون هم مَن أوجدوها وسطَّروها في صحائف أعمالهم، فالإنسان يعيش بين مجموعة من الصفات ، صفات تأخذ بيديه إلى طريق الحق والصواب وأخرى تورده موارد الزلل والهلاك ، وعليه الاختيار وفق مبدأ الثواب والعقاب ، فالفساد من الصفات المذمومة التي تلحق العار بصاحبها في عالم الأحياء والأموات ؛ وذلك لأن" الفساد لغة: خروج الشيء عن الاعتدال والاستقامة، قلَّ ذلك الخروج أو كثر، ويكون في الأعيان والمعاني. ومنه فساد العقائد– أعاذنا الله منه–. ويستعمل في النفس

والبدن. وفي الحديث: "إذا فسد القلب فسد سائر البدن[١]" يقال: فسد يفسد فسادًا فهو فاسد. وأفسد يفسد فهو مفسد إفسادًا[٢]" .

فالفساد تتعدد اتجاهاته وتختلف محاوره وإن كانت جميعًا تتجه إلى أبواب الشر ، حيث تشير الآية الأولى إلى إفساد الحرث والنسل فهي " من باب عطف الخاص على العام تنبيهًا على زيادته في جنسه، فإن الإفساد يعم إهلاك الحرث والنسل وغيره . قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ . نفى محبته للفساد من الأصل وإن كان لولا ذلك المعنى المقصود الإفساد هو المطابق لقوله أولًا ليفسد فيها لأنه من أفسد[٣]".

وقد فسر الفساد هنا بوجهين:" قال ابن عباس في رواية الكلبي: أي: لا يرضى بالفساد والعمل بالمعاصي. وذكر في تفسير الفساد هاهنا: الخراب، وقطع الدرهم، وشق الثياب، لا على وجه المصلحة. ويقال: فَسَدَ الشيءُ يَفْسد فسودًا وفسادًا، كما يقال: ذهب ذُهُوبًا وذَهابًا، وكسد كُسُودًا وكَسَادًا [٤]".

وعن سبب نزول الآية قيل:" ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ ﴾ (البقرة من الآية ٢٠٤) ، يعني كلامه وحديثه، وهو أخنس بن شريق، كان حلو الكلام، حلو المنظر، فاجر السريرة. وروى أسباط عن السدي

(١) الحديث برواية أخرى في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه للبخارى.حققه. محمد زهير بن ناصر الناصر (كتاب الإيمان) (باب فضل من استبرأ لدينه) ٥٦/١– دار طوق النجاة – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، والجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم (كتاب البيوع) (باب أخذ الحلال وترك الشبهات)٥٠/٥– دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة – بيروت.

(٢) عمدة الحفاظ ٢٢٩/٣.

(٣) السابق ٢٢٩/٣.

(٤) التفسير البسيط ٧٩/٤،٨٠.

قال: أقبل أخنس بن شريق إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالمدينة فقال: إنما جئت أريد الإسلام وقال: الله يعلم أني صادق، فأعجب النبي – صلى الله عليه وسلم– بقوله ثم خرج من عنده ، فمر بزرع للمسلمين فأحرقه، ومر بحمار للمسلمين فعقره، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ، أي: يعجبك كلامه وحديثه. ﴿ وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ من الضمير أنه يحبه وهو يريد الإسلام ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ وهو أَلَدُّ الخصام، أي: شديد الخصومة. قال القتبي: أي: أشدهم خصومة. يقال: رجل ألد بين اللد واللدد، وقوم لد. كما قال في آية أخرى: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾ (مريم من الآية ٩٧). ثم قال: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، يقول: إذا فارقك رجع عنك، سعى في الأرض، أي: مضى في الأرض بالمعاصي.

ليفسد فيها، أي: يعصي الله في الأرض ويهلك الحرث والنسل، أي يحرق: الكَدْس[١] ويعقر الدواب.﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾، أي: لا يرضى بعمل المعاصي[٢]".

وقيل :" في الفساد قولان: أحدهما: أنه الكفر. والثاني: الظلم[٣]".

وخلاصة دلالة الفساد في هذا الموضع كما قال الرازي : " هذا الفساد يحتمل وجهين أحدهما: ما كان من إتلاف الأموال بالتخريب والتحريق والنهب، ... والوجه الثاني في تفسير الفساد: أنه كان بعد

(١) الكُدْس والكَدْس :العَرَمَة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك. لسان العرب(ك د س)٣٨٣٣/٥.

(٢) بحر العلوم ١٦٣،١٦٢/١. وينظر :جامع البيان ٢٣١،٢٣٠،٢٢٩/٤، وتفسير مقاتل بن سليمان ١٠٨،١٠٧/١، ومعالم التنزيل ٢٦٤،٢٦٣/١.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي. حققه.عبد الرزاق المهدي ١٧١/١– دار الكتاب العربي- بيروت –الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

الانصراف من حضرة النبي–عليه السلام– يشتغل بإدخال الشُّبه في قلوب المسلمين، وباستخراج الحيل في تقوية الكفر، وهذا المعنى يسمى فسادًا،... واعلم أن حمل الفساد على هذا أولى من حمله على التخريب والنهب، لأنه تعالى قال: ويهلك الحرث والنسل والمعطوف مغاير للمعطوف عليه لا محالة(١)".

"وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض، وإن قال بلسانه قولا حسنا. ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلا على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي لها وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس، بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم(٢)".

وأما الآية الثانية فهي تتحدث عن اليهود المفسدين الذين قالوا قولا عظيمًا عن جلال الله وقدسيته تكاد الأرض تنشق منه وتخر الجبال هدًّا،:" ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾، يعني ابن صوريا ، وفنحاص اليهوديين ، وعازر بن أبي عازر ،﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ ، يعني ممسكة ، أمسك الله يده عنا، فلا تبسطها علينا بخير ، وليس بجواد ، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ بسط عليهم في الرزق ، فلما عصوا واستحلوا ما حرَّم عليهم ، أمسك عنهم الرزق ، فقالوا عند ذلك : يد الله محبوسة عن البسط ، يقول الله –عز وجل–:﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾، يعني أمسكت أيديهم عن الخير،﴿ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾بالخير، ﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ ، إن شاء وسع في الرزق ، وإن شاء

(١) مفاتيح الغيب ٥/٣٤٦،٣٤٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٣.

قتر ، هم خلقه وعبيده في قبضته. ثم قال :﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم ﴾ ، يعني اليهود من بني النضير، ﴿ مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ ، يعني أمر الرجم والدماء، ونعت محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ﴿ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ ﴾ بالقرآن، يعني جحودًا به ،﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ﴾ ، يعني اليهود والنصارى ، شر ألقاه عزَّ وجلَّ بينهم ،﴿ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ ، يعني يبغض بعضهم بعضًا ، ويشتم بعضًا ، ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ ، فلا يحب اليهودي النصراني ولا النصراني اليهودي ، ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾، يعني كلما أجمعوا أمرهم على مكر بمحمد – صلى الله عليه وسلم – في أمر الحرب، فرقه الله –عزَّ وجلَّ– ، وأطفأ نار مكرهم ، فلا يظفرون بشيء أبدًا ، ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ ﴾ ، يعني يعملون فيها بالمعاصي ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، يعني العاملين بالمعاصي(١)".

وأما الآية الثالثة فيتجه المفسدون فيها إلى المال وأهم اختبار يتعرض له المرء في حياته ، فتنزلق أقدام قارون ولا يقوى على تحمل هذه المسئولية ؛ وذلك بما صوَّره له خياله المريض بأن هذا المال من جده ونشاطه وليس من نعم الله عليه ، " يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا. وقوله: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غدًا من عقاب الله...﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يقول: ولا تلتمس ما حرَّم الله عليك

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١/٣١٠،٣١١.

من البغي على قومك. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ يقول: إن الله لا يحبُّ بغاة البغي والمعاصي[١]".

فالباب واضح المعالم والسمات لا يحتاج إلى شرح وتفصيل، ورسالة القوم تحمل جميع دلالات الخير، ولكن مَن يسمع لداعي العقل عندما يطرق بابه ، ويقرأ بين السطور إن كان يجيد لغة الكتابة ، ويفهم لغة الخطاب إن كان ممن يجيد لغة الحوار، "﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة[٢]".

فدائرة المعاصي تزداد كل يوم بعمل المفسدين فيها وتحت ظل لوائها بأي وجه من الوجوه مادامت هذه الوجوه تدور مع إنكار نعم الله عزَّ وجلَّ وجحودها والتعامل معها على أنها فضيلة بشرية تأتي عن طريق الجد والاجتهاد وميراث الآباء والأجداد واتباع دعاة الباطل والسوء ، فالفساد في الأرض مرفوض شكلا وموضوعًا والمفسدون فيها عليهم يومًا ما تدور الدوائر.

(١) جامع البيان١٩/٦٢٥،٦٢٦. وينظر: بحر العلوم ٢/٦٢٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦٢٣.

العنوان العاشر: باب الكاف مع الباء والراء في (المستكبرين)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ (النحل الآية ٢٣).

الإيمان بالله –عزَّ وجلَّ– وتوحيده أولى درجات الحياة على ظهر هذه الأرض ، فالإنسان بلا إيمان لا وجود له ، فمن يتصوَّر أنه يدبر أموره بنفسه ويعيش بلا توجيه أو تأييد من خالقه هو واهم لم يفهم الدنيا على حقيقتها وحكمة وجوده فيها ، وكأنه خلق عبثًا بلا فائدة ، يريد أن يصل إلى عنان السماء بكبرياء وتعال دون أن تحدثه نفسه بالعودة إلى رحاب ربه واستدراك ما قصَّر وفات من لحظات عمره ، وهذا نموذج نراه في كل عصر يقف ويصرِّح بمفاهيم مغلوطة وافتراءات ابتكرها من تلقاء نفسه ، والله –عزَّ وجلَّ– لا يحب المستكبرين من عباده الذين ينكرون وجوده ويصرون على إلغاء عقولهم وتفويض الأمر لأنفسهم التي تعبث بحياتهم وتودي بهم إلى الهلاك.

ومفردة (المستكبرين) تعود مادتها إلى" الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصِّغر. يقال : هو كبير ، وكُبَار ، وكُبَّار[١]" .

والآية الكريمة تقدِّم هؤلاء المستكبرين إلى المحاكمة وتقضى عليهم بعدم محبة الله لهم، فهم لا يؤمنون بتوحيد الله ولا يصدقون بالبعث والجزاء، سواء أكان مقصودها كفار مكة في مواجهة دعوة الرسول –صلى الله عليه وسلم– لهم ومحاربتهم له وصدهم الناس عن دينه ، أم كان مقصودها المتصفين بذلك في كل عصر وحين ، فكما ذكر صاحب

(١) مقاييس اللغة ١٥٣/٥.

الكشاف:" يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعنى المشركين. ويجوز أن يعمَّ كل مستكبر، ويدخل هؤلاء تحت عمومه[١]".

فيعلنها القرآن الكريم صراحة وكأنه يتوعدهم بما يصير إليه حالهم في الآخرة بـ " ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ يعني المتكبرين عن التوحيد[٢]" .

ودلالة ذلك" أَي: لَا يُثِيبهم ولا يُثْنِي عليهم[٣]" .

فالسماء تمطر بالخير على من ألان جانبه وطوَّع نفسه لخدمة دينه وأسس حياته وأقام بنيانها على توحيد ربه بنفس راضية وقلب مطمئن يخضع لخالقه ويعلم أنه عبد ليس بمعبود فهو بذلك في دائرة رحمة ربه ، ولكن قد يتحول ماء الحياة فيها إلى عذاب يدمر كل شيء يقع عليه ؛ لأنه في هذه الحالة امتطى جواد الاستكبار فظن أن الدنيا لم تخلق إلا له وأن الجميع خدم من حوله، يجب أن يقدموا له دائمًا وأبدًا واجب الولاء والطاعة فكانت النتيجة أن خسر نفسه وطرد من رحمة ربه بسبب سوء فعله وعدم تحكيم عقله ، فالله لا يحبه ولا يرضى بفعاله ، والجزاء من جنس العمل .

(١) الكشاف ٦٠١/٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢١٧/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩٥/١٠.

العنوان الحادي عشر: باب الكاف مع الفاء والراء في (الكافرين)

١–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران الآية ٣٢).

٢–قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الروم الآية ٤٥).

الإيمان في كفة والكفر في كفة أخرى لا يلتقيان في قلب عبد أبدًا مهما حسَّن صورته بين الناس وحاول أن يجسِّد دور النقاء والتقوى وأن يريهم حالة تنطق بكل ما هو جميل وترفض كل ما هو قبيح ؛ لأن ما يخفيه ويستره من علامات الكفر يظهر على قسمات وجهه فيكاد كل عضو من أعضائه أن ينطق بما تخفيه وتستره نفسه ، وكأن الكفر له رائحة تفضح من يتصف بها ويحاول أن يعيش في رحابها ، والكافر جحد الحق وأنكره وغطى الإيمان ولم يظهره فكأنه قد ستر ما وجب ظهوره وأخفى ما وجب إعلانه ، والمسألة ليست في حاجة إلى بيان ، فطاعة الله طاعة لرسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– ، وإنكار دعوته إنكار لحكمة الله –عزَّ وجلَّ–، فالمسألة لا تحتمل القسمة ولا تقبلها بحال من الأحوال، ومن ثم فجزاء المؤمنين معلوم وكذلك جزاء الكافرين، فمن قبل بهذا الحكم فقد رضي ومن أبى فليتحمل نتيجة اختياره ، فإن" قوله عزَّ وجلَّ:﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾أي: أظهروا محبتكم لله إن كنتم تحبونه بطاعته واتباع رسوله ومعنى:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . أي: فإن الله لا يحبهم؛ لأن من تولى عن النبي – صلى الله

عليه وسلم – فقد تولى عن الله. ومعنى:﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . لا يغفر لهم ولا يثني عليهم خيرًا[١]".

وقيل : "﴿ قُلْ ﴾ لليهود﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ ، يعني أعرضوا عن طاعتهما ،﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، يعني اليهود[٢] ".

فإن " من تولَّى فقد خرج عن التحبب إليه، ومن لم يتحبب إليه بطاعته فهو لا يحبه بإثابته، والكافر غير متحبب إليه بتولّيه عنه، فمحال أن يحبه، فصار تقديره: إنكم إذا كفرتم بالإعراض عنه وعن رسوله، فإنه لا يحبكم. وفي ذلك إبطال دعواهم، حيث قالوا:﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ (المائدة من الآية ١٨) وقوله:﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ تنبيه أنه ينقطع عنهم توفيقه، وبانقطاع توفيقه عنهم يضلون ويعمهون[٣]".

و" قال أبو جعفر: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: قل، يا محمد، لهؤلاء الوفد من نصارى نجران: أطيعوا الله والرسول محمدًا، فإنكم قد علمتم يقينًا أنه رسولي إلى خلقي، ابتعثته بالحق، تجدونه مكتوبًا عندكم في الإنجيل، فإن تولَّوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك، وأعرضوا عنه، فأعلمهم أن الله لا يحبُّ من كفر بجحد ما عرف من الحق، وأنكره بعد علمه، وأنهم منهم، بجحودهم نبوَّتك، وإنكارهم الحقَّ الذي أنت عليه، بعد علمهم بصحة أمرك، وحقيقة نبوتك[٤]".

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٩٨/١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ١٦٥/١.
(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٥٢١،٥٢٠/٢.
(٤) جامع البيان ٣٢٥/٦.

فالكافر غير محبوب من خالقه وليس بقريب منه ، فإن كانت دعوى الإيمان بالله ورسوله صادقة فأقم الدليل عليها وإن لم تستطع فأنت من الذين تولوا وأعرضوا ، ولذلك قرَّر القرآن الكريم

" ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانًا وتفسيرًا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي(١)" .

"هذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله، اتباع محمد –صلى الله عليه وسلم–، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه، طريقا إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه، إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما. فمن فعل ذلك، أحبه الله، وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه، فكأنه قيل: ومع ذلك، فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها؟ فأجاب بقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ بامتثال الأمر، واجتناب النهي، وتصديق الخبر، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾عن ذلك، فهذا هو الكفر، والله﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢)".

ومن هنا وطبقًا لتلك المعايير التي ترفض رفضًا قاطعًا الفصل بين طاعة وطاعة رسوله يكون الحكم بمجازاة أهل الإيمان وأهل الكفر ؛ وذلك لأن فضله وكرمه وحبه خاص بمن زيَّن الإيمان قلبه وخلع الكفر من رقبته، وأما من رضي بالكفر دينًا فإثمه على نفسه ، فـ " قوله تعالى:

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٢٨.
(٢) السابق ٩٦٥.

﴿ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ليس الحب بمعنى الإرادة ولكنه بمعنى لا يظهر عليهم أمارات رحمته ولا يرضاه لهم دينا ونحو هذا[١]".

فالله –عزَّ وجلَّ– قد جازى أهل الإحسان بفضله وكرمه كما تصوّر ذلك الآية الأخرى ؛ " وذلك لأنه أحبهم وإذا أحبَّ الله عبدًا صبَّ عليه الإحسان صبًّا، وأجزل له العطايا الفاخرة وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة. وهذا بخلاف الكافرين فإن الله لما أبغضهم ومقتهم عاقبهم وعذبهم ولم يزدهم كما زاد من قبلهم فلهذا قال:﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٢]".

فقد تجد أيها المؤمن في حياتك نصبًا وتعبًا وهذا ليس دليلا على أنك لست على الحق ؛ وذلك لأن أعظم الناس ابتلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ، وكذلك قد تفتح الدنيا أبوابها من الخيرات على الكافر فيظن أنه على الحق وهو منه براء ، وهذا أيضًا ليس دليلا على صدق منهجه وسلامة دعواه ، فالجنة عندما تفتح أبوابها ويرى أهل الحق ذلك ينسون جميع ما مرَّ بهم من أزمات ؛ لأن رضا الله عنهم وتوفيقه لهم ووعده بجزاء الخير لهم جعلهم في مأمن من عقابه ، ولكن النار عندما تفتح أبوابها ويرى أهل الباطل ذلك ينسون ما مرَّ بهم من نعيم حتى لو حيذت لهم الدنيا بحذافيرها ، فالله لا يحبُّ الكفر ولا يحبُّ جميع من اتصف به.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. حققه. عبد السلام عبد الشافي محمد٤/٣٤١– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦٤٣.

العنوان الثاني عشر: باب الكاف مع الفاء والراء في (كفار) وباب الهمزة مع الثاء والميم في (أثيم)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة الآية ٢٧٦).

الربا من الأمراض الخبيثة الفتاكة التي تعصف بحياة الأمم وتؤذن بهلاكها ، فما من أمة استباحت ذلك وآمنت به واتخذته منهجًا في حياتها إلا وتأخرت في كل جانب من جوانب الحياة، سواء في بنائها الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي وضاعت بينها كل القيم الأخلاقية، وهذا من باب كفران النعمة وسترها؛ والتمادي في طرق جميع مجالات الإثم ، وعدم التقدم في أي مجال من مجالات المعرفة ، فالاقتصاد الإسلامي يحمل بين دفاته الخير ولكن بشرط فهم أصوله وتطبيق معاييره بطريق صحيح ودقيق ، فالكسب السريع ليس دلالة على التفوق والنجاح وإنما الكسب المشروع هو أمارة ذلك، وعدم الفصل بينهما يجعل المتصف بذلك يسكن في تلك الدائرة التي لا تفصل بين حق وباطل وحلال وحرام، وهذا بخلاف من استثمر أمواله مع الله وضاعف في صدقاته يقينًا بوعده له وإيمانًا بزيادة البركة ، فأنت مع الصدقة تحت باب الاستثمار بمختلف أنواعه الصحيحة ولكن مع الربا في باب ذهاب البركة وهدم ما تظنه بناء وإتلاف ما تراه مستقيمًا.

لذلك كان التذييل على من اتبع منهج الربا وعارض منهج الصدقات بوصفه بصفتين كلاهما أسوأ من الأخرى وهما : (الكفَّار الأثيم) ، فالأولى

من الستر والتغطية ، والأخرى تحمل دلالة التأخر،" وقوله: {كفار أثيم}، أي: بليغ في تعاطي أسباب الإثم[1]".

فأصحاب الشمال يتعاملون مع الربا كباب من أبواب الثراء السريع ولكنه إلى ذهاب لفقد البركة منه ، وأصحاب اليمين يتعاملون مع الصدقات كباب من أبواب التجارة مع الله ، فتأتي الآية بتوضيح صريح لهذه الدلالة دون لبس أو غموض ، حيث " قال أبو جعفر: يعني عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ ، ينقص الله الربا فيذهبه... وأما قوله: ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ، فإنه جلَّ ثناؤه يعني أنه يضاعف أجرها، يربها وينميها له... وأما قوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ ، فإنه يعني به: والله لا يحب كل مُصرٍّ على كفر بربه، مقيم عليه، مستحِلٍّ أكل الربا وإطعامه، "أثيم"، متماد في الإثم، فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه، لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوي عنه، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه[2]".

وعلى ذلك اتضحت معالم الدلالة ، فـ " قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ ، أي: ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن ابن عباس– رضي الله عنهما–: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ ، يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهادًا ولا حجًّا ولا صلة، ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ، أي: يُثَمِّرُها ويبارك فيها فِي الدنيا ويضاعف بِها الأجر والثواب في العقبى، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ ، بتحريم الربا، ﴿ أَثِيمٍ ﴾ ، فاجر بأكله[3]".

(١) عمدة الحفاظ ٦٣/١.
(٢) جامع البيان ٢١،١٥/٦.
(٣) معالم التنزيل ٣٨٦/١.

إذًا" الكَفَّار فَعَّال من الكفر ، ومعناه : أن ذلك عادته ، والعرب تسمي المقيم على الشيء بهذا فتقول : فلان فَعَّال للخير أمَّار به ، و"الأثيم" فعيل بمعنى فاعل ، وهو الآثم ، وهو – أيضًا – مبالغة في الاستمرار على اكتساب الإثم والتمادي فيه ، وذلك لا يليق إلا بمَنْ ينكر تحريم الربا ، فيكون جاحدًا . وفيه وجه آخر : وهو أن يكون " الكَفَّار " راجعًا إلى المستحلِّ " والأثيم" يكون راجعًا إلى مَنْ يفعله مع اعتقاد التحريم؛ فتكون الآية جامعة للفريقين[١]" .

" وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره عباد الله﴿ أَثِيمٍ ﴾أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته[٢]".

فمنهج الله واضح لا يحتاج إلى تأويل وشريعته تكاد أن تتحدث عن نفسها ولكن مَن يسلك طريق أهل الفساد يحاول أن يأتي بالحجج والأباطيل التي يحاول من خلالها إقناع نفسه وبالتالي إقناع من حوله فيظن أنه بذلك يوسِّع على نفسه والآخرين، ولكنه بذلك قد ضيَّق واسعًا وخالف ما اتفقت عليه الشرائع فكان العقاب أن محا الله البركة من ماله وربما ذهب كله بسبب كفران نعم الله عليه وتماديه في تناول أسباب الإثم

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي . تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ٤٥٨/٤– دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
(٢) تيسير الكريم الرحمن ١١٦.

التي كانت مقدمة لمحاكمته وتوقيع أشد أنواع العذاب عليه ؛ لأن ذلك إيذان بإعلان الله الحرب عليه.

وبعد الحديث عن هؤلاء الذين لا يقبلهم الله ولا يقبل منهم ولا يرضي عنهم ولا يحبهم في هذه العناوين الاثني عشر تجد النفس بين نعيم دائم ومؤقت إن استجابت لأحدهما حرمت من الآخر، فتظل في صراع بين تلك الرغبات بين أقبل وأرفض أستجيب أو لا أستجيب ، ولكن هذا مع النفس الضعيفة التي تقع فريسة مع أول اختبار فتنهار المبادئ وتتجزأ المُثُل وتبدأ في مرحلة البحث عن الأعذار حتى تجد مسلكًا تستطيع من خلاله أن تدافع عن نفسها ولكنها واهمة سجدت لغير خالقها واستسلمت لأول طارق أو داع للشر يطرق بابها ، ولكن مع النفس المطمئنة الواثقة من وعد ربها التي خالفت منهج الشيطان ولم تقبل سوى منهج الرحمن تجد الحياة تسير بهدوء وإن ظهرت بعض الأزمات فهذا من باب الابتلاء والاختبار الذي يرفع الله به الدرجات ويمحو به الزلات.

الخاتمة

حتى يخرج الباحث بفكرة يمكن أن تكون نواة لبحث مقبول يظل في محراب العلم يقلِّب بين الصفحات كثيرًا حتى ينقاد العقل له ويهديه ما يأمل ويحقق له ما يريد ، ومع البداية تلحظ أنك تسبح في بحر لا تعرف بدايته من نهايته فتختلط عليك كثير من المفاهيم فتذهب في كل واد باحثًا عن توضيح لها وحل لفكِّ رموزها ، ومع الاستعانة بالله -عزَّ وجلَّ- والصبر على تلك المقدمات التي تعودنا من خلالها على هذا اللبس والغموض الذي يعترض البحث مع ظهور أول صفحاته والعيش في ظلال المصنفات بكل أمانة وصدق يكون الصبح قد أسفر عن ضيائه وانجلى الليل بجميع قسماته ، فلم يعد إلا طرق باب الاجتهاد وكأنك أحد أبنائه ، ومع هذا البحث الذي أذكِّر القارئ بعنوانه **(فقه مفردات القرآن " من يحب الله ومن لا يحب أنموذجًا")** تكون النتائج في كثير من النقاط منها :

١-فقه مفردات القرآن يجعل الآيات واضحة المعالم والسمات.

٢-لا يمكن إدراك محبة الله إلا باتباع منهجه والسير على درب شرعه ، وخلاف ذلك يدعو إلى مقته وبغضه.

٣-انفردت بعض السور بذكر بعض المواضع الدالة على محبة الله ، وربما ذكر أكثر من موضع في سورة واحدة ولكل موضع سياقه الخاص به مع وجود التشابه السياقي في بعض الأحيان مع اختلاف الأوصاف ولكل موضع خصوصيته التي تميزه عن غيره، وربما في سياق واحد ورد وصفان مختلفان لأمر واحد.

٤-سبعة عناوين في ستة عشر سياقًا خلاصة ما قدَّمه البحث في دائرة من يحب الله ، واثنا عشر عنوانًا في اثنين وعشرين سياقًا فيمن لا يحب الله.

٥- تتفق محبة الله في بعض العناوين في صورة الحروف والحركات في كثير من المواضع لبعض المفردات ولكن مع احتفاظ كل سياق بخصوصيته ومقامه الذي يتناسب معه ، والأمر نفسه ينجلي في عدم محبته.

٦- دلالة اللغة قد تتفق مع دلالة السياق في بعض المواضع وقد تختلف والحكم بينهما يعود إلى النظر والتدبر فيما تهديه إلينا مصنفات المعاجم والتفسير.

٧- تقتضي محبة الله طرق باب التوبة التي تأمر بتصفية الروح ونقائها حتى تصل إلى درجة اليقين ، والتطهر الذي يهتم بجانب الروح والجسد فيحدث التفاعل بين الظاهر والباطن فيرى صورة المؤمن الحقيقية، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

٨- الإحسان أبوابه كثيرة منها الإنفاق في سبيل الله ، أو هو وصف للمتقين ، أو صفة المجاهدين مع الأنبياء الذين لم تؤثر فيهم الحوادث والصدمات أو أمر بالإحسان إلى بني إسرائيل الذين صدقوا في عهودهم إلا ما كان منهم من بعض الأخطاء على سبيل السهو والغفلة والنسيان ، أو في هذا المجال الذي خاف فيه المسلمون على إخوانهم الذين كانوا يشربون المسكرات قبل تحريمها وأدركتهم المنية ، فالإحسان غاية لا يدركها إلا من يكابد هوى نفسه ويتغلب على شيطانه ، والله يحب المحسنين.

٩- تحقيق الآمال والفوز والنصر على شهوات النفس يحتاجان إلى جهد وصبر وقوة عزيمة لا تلين فما ضعف الصالحون ولا ذلوا بقتالهم مع الأنبياء السابقين؛ ولذلك فإن الله يحب الصابرين.

١٠- لا مجال للاختلاف والتنازع والفرقة بل العمل بنية واحدة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ، فصدق النية وكمال الإيمان يصدقان في هذا المجال ، يحب الله الذين يقاتلون في سبيله صفًّا.

١١- العدل واحد وإن اختلفت صوره وأشكاله حتى ولو كان مع الأعداء والخصوم ؛ فالمبدأ لا يتجزأ والحق حقٌّ حتى ولو كان مع غير المسلم ، وتطبيق منهج العدل بين المتخاصمين من المؤمنين صورة من صوره ، والعدل كذلك مع المشركين الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يصروا على إخراجهم من ديارهم ، والله يحب المقسطين.

١٢- التقوى أعلى درجات الإيمان والاتصاف بها من الصعوبة بمكان ، والتوجيه باتقاء المعاصي وعدم التجرؤ على الأموال المحرمة في هذا الباب تشير إلى أهل الكتاب الذين ينقضون عهدهم مع الله فيخونون الأمانات اعتقادًا منهم بأنها ما دامت خاصة بالعرب فهي حل لهم ، والتقدير لأهل الكتاب الذين يحفظون الأمانات ولا يضيعونها ، وأما المشركون الذين رفضوا الإيمان واستجابوا لداعي الكفر فنقول لهم نقض العهود من باب المحرمات ، والله يحب المتقين.

١٣- الأخذ بالأسباب والاعتماد على رب الأسباب عنوان المتوكلين على الله ، والله يحب المتوكلين.

١٤- في دائرة عدم الرضا من الله يظهر هذا العنوان الذي ينبه المظلوم بأن عليه أن يجهر بشكايته دفاعًا عن حقه واستردادًا لما سُلب منه أو دعاء على ظالمه بالتضرع إلى الله أن يأخذ حقه أو يقتص له منه ، فالله لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم.

١٥- عبادة الله -عزَّ وجلَّ- والإحسان إلى البشر جميعًا ومنهم الفقراء ومَن على شاكلتهم وعدم الحزن على ما فات وعدم الفرح بما في اليد ضرب من ضروب الطاعة وخلاف ذلك يدعو إلى الزهو والإعجاب بالنفس، والله لا يحب كل مختال فخور.

١٦- الإسلام يشهد دائمًا للحق حتى ولو كان مع غير المسلم ، فإن أخطأ المسلم في حق غيره أو تسبب في إيذائه أو كان مصدر إيلام له يقدمه للمحاكمة ؛ لأن هذه مبادئ والمبادئ لا تتجزأ، إن الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا.

١٧- الله مع المؤمنين دائمًا مهما ضاقت بهم الحياة وتعرضوا لكثير من الأزمات ولن يتركهم لعدوهم ، والله لا يحب كل خوان كفور.

١٨- الوسطية ميزان الاعتدال ومنهج الله في الأرض ، فالإفراط والتفريط كلاهما مر فلا ضرر ولا ضرار، والله لا يحب المسرفين.

١٩- وضع الشيء في غير موضعه أو ظلم الغير أو معصية الله منهج لا يرضاه الإسلام ولا يقره ولا يعترف به ؛ لأنه منهج الظالمين والله لا يحب الظالمين.

٢٠- ليس من منهج الإسلام البدء بالعدوان حتى ولو كان في أوقات الحروب فهو لا يرضى عن فعل ذلك ، وكذلك من قاموا بتحريم ما أحل الله بحجة التقرب إليه ، وكذلك في حالة الجهر بالدعاء فالله سبحانه وتعالى يعلم سرهم ونجواهم، والله لا يحب المعتدين.

٢١- الفرح في الإسلام مشروع فهو لا يحاربه ولا ينهى عنه ولكن ينهى عن تجاوز الحد فيه باتخاذه وسيلة من وسائل التجبر والتكبر في الأرض ، والله لا يحب الفرحين.

٢٢- الفساد من الصفات المذمومة التي تلحق العار بصاحبها في عالم الأحياء والأموات ؛ وذلك لأن الفساد خروج الشيء عن حد الاعتدال والاستقامة ، والله لا يحب المفسدين.

٢٣- الذين ينكرون وجود الله ولا يؤمنون بتوحيده ولا يصدقون بالبعث والجزاء ويصرون على إلغاء عقولهم وتفويض الأمر لأنفسهم التي تعبث بحياتهم وتؤذن بهلاكم هم المستكبرون ، فالله لا يرضى عنهم والجزاء من جنس العمل والله لا يحب المستكبرين.

٢٤- عدم الفصل بين طاعة الله وطاعة الرسول ؛ لأن هذا من باب الكفر بالله ، والله لا يحب الكفر ولا يحب جميع من اتصف به ، وطبقًا لذلك يكون الحكم بمجازاة أهل الإيمان وأهل الكفر والله لا يحب الكافرين.

٢٥- ما من أمة استباحت الربا وآمنت به واتخذته منهجًا في حياتها إلا وتأخرت في كل جانب من جوانب الحياة ، وهذا من باب كفران النعمة وسترها والتمادي في طرق جميع مجالات الإثم، ولذلك كان التذييل على من اتبع الربا وعارض منهج الصدقات بوصفين كلاهما أسوأ من الآخر، والله لا يحب كل كفار أثيم.

وأخيرًا ، كلمات أحاول من خلالها أن أصل إلى قلب كل مسلم ، إن لم تكن من أهل محبة الله فحاول أن تجتهد في إدراك هذه الغاية ؛ لأن الجنة لا تنادي إلا على المحبين ولا تشتاق إلا لهم ولا تتزيَّن إلا من أجلهم، وقبل ذلك صلاح العقول والقلوب والسير في درب الصالحين من سماتهم والخير دائمًا يسعى في رحابهم ، فمخالطة هؤلاء فضيلة والنظر في وجوههم عبادة ، والتأسي بأقوالهم وأفعالهم ضرب من ضروب الطاعة، وأما الذين لم يرض عنهم ربهم ولم يقبلهم فهؤلاء لا ستر لهم ولا خير يرتجى من عالمهم ، إذا كان الله قد مقتهم وأبغضهم فالكون كله يستجيب ويتفاعل معه فتحملهم الأرض على ظهرها وبَعْد في باطنها وهي تتمنى أن تلفظهم وتستريح من عبء حملهم وقبح منظرهم ولغة حوارهم .

فهرس المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

١-أوضح التفاسير. محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب-المطبعة المصرية ومكتبتها- الطبعة السادسة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٢-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري - مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية- الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣- بحر العلوم للسمرقندي. تحقيق: د. محمود مطرجي- دار الفكر - بيروت.

٤- البحر المحيط لأبي حيان. تحقيق. عادل أحمد عبد الموجود وآخرين- دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٥- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة. حققه. أحمد عبد الله القرشي رسلان-الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة - الطبعة ١٤١٩هـ.

٦- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري . تحقيق. أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين -بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة -القاهرة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٧- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور- مؤسسة التاريخ العربي- بيروت - لبنان- الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٨- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري. الزيلعي. تحقيق . عبد الله بن عبد الرحمن السعد - دار ابن خزيمة - الرياض- الطبعة الأولى١٤١٤هـ.

٩-التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. حققه د. عبد الله الخالدي - شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٠- التفسير البسيط للواحدي. الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.
١١- تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق ودراسة د. عادل بن علي الشِّدِي- دار الوطن - الرياض- الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
١٢-تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. محمد بن أحمد الخطيب الشربيني - مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة ١٢٨٥هـ.
١٣-تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. المحقق. أسعد محمد الطيب- مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية -الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ .
١٤- تفسير مقاتل بن سليمان. حققه. أحمد فريد- دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .
١٥- تهذيب اللغة للأزهري. حققه. محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٦-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي. المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .
١٧- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري .حققه. أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٨-الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم- دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة - بيروت.
١٩- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية - القاهرة- الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٠-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه للبخارى. حققه. محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
٢١- الجمع بين الصحيحين. عبد الحق الإشبيلي-دار المحقق للنشر والتوزيع- الرياض-المملكة العربية السعودية -الطبعة الأولى١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٢- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي. المحقق. عبد الرزاق المهدي – دار الكتاب العربي-بيروت -الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
٢٣- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي. حققه. محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري- دار الكتاب العربي – بيروت -الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي. تحقيق. الإمام أبي محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٦-لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن) – دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٧- لسان العرب لابن منظور. حققه. عبد الله علي الكبير وآخرون- طبعة دار المعارف.
٢٨- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي . تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض – دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٢٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. حققه. عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٠-المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري. تحقيق. عبد الرزاق المهدي-دار الكتاب العربي -بيروت -لبنان ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٣١- معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي). حققه. عبد الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي -بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج. حققه. عبد الجليل عبده شلبي- عالم الكتب - بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٣- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن جبل - مكتبة الآداب-القاهرة ٢٠١٢م.
٣٤-المغني عن حمل الأسفار لأبي الفضل العراقي. تحقيق. أشرف عبد المقصود-مكتبة طبرية- الرياض- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣٥-المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين) - دار ابن حزم- بيروت - لبنان- الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م
٣٦- مفاتيح الغيب للرازي -دار إحياء التراث العربي - بيروت-الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
٣٧- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - دار القلم -دمشق.
٣٨- مقاييس اللغة لابن فارس. تحقيق. عبد السلام محمد هارون-دار الجيل -بيروت -الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.